



2009

مدينة القدس في العهد الأيوبي

٥٨٣هـ/١١٨٧م - ٦٥٠هـ/١٢٥٢م

مقبولة حسن الحاج خليل

منشورات وزارة الثقافة/عمّان
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

"مدينة القدس في العهد الأيوبي من سنة

٥٨٣ – ٦٥٠هـ / ١١٨٧ - ١٢٥٢م"

سلسلة إصدارات:

احتفالية الأردن بالقدس عاصمة الثقافة العربية

٢٠٠٩

- **مدينة القدس في العهد الأيوبي من سنة (٥٨٣-٦٥٠هـ / ١١٨٧ - ١٢٥٢م)**

- **دراسة**

- **المؤلف: مقبولة حسن الحاج خليل**

- **الناشر: وزارة الثقافة**

شارع وصفي التل

خلف جبري المركزي

ص ب ٦١١٤٠ عمان - الأردن

تلفون: ٥٦٩٦٢١٨/٥٦٩٩٠٥٤

فاكس: ٥٦٩٦٥٩٨

Email: *info@culture.gov.jo*

- **الطباعة: مطبعة السفير ٤٦٥٧٠١٥**

- رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٥٠٥٦/ ١٢ / ٢٠٠٩)

مدينة القدس في العهد الأيوبي

من سنة ٥٨٣ – ٦٥٠هـ / ١١٨٧ - ١٢٥٢م

مقبولة حسن خليل الحاج خليل



لجنة الإصدارات والنّشر

احتفاليّة «القُدس عاصمة الثّقافة العربيّة ٢٠٠٩»

وزارة الثقافة/ عمّان - الأردنّ

الأُستاذ الدّكتور **هُمام بشارة غَصِيب** (رئيسًا)

الأُستاذ هزّاع البراري (مقرّرًا)

الدّكتورة هند أبو الشّعر

الأُستاذ عودة القضاة

الأُستاذ محمّد يونس العبّادي

الدّكتور محمّد صالح بني عيسى

المهندس نضال يحيى السقرات



تَصْدير

إنّ فلسطينَ توأمُ الأردنّ؛ والقدسَ توأمُ عمّان. من هنا، أعدّت وزارةُ الثّقافة الأردنيّة برنامَجًا حافلاً للاحتفاء والاحتفال بالقدس عاصمةً للثّقافة العربيّة ٢٠٠٩. فالقدسُ في ضميرنا دوْمًا؛ وهي الرّمزُ الخالد وقدسُ الأقداس وزهرةُ المدائن، وتستحقّ أنْ تكونَ العاصمةَ الأبديّةَ للثّقافةِ العربيّة.

وبتوْجيهٍ من جلالة الملك عبْد الله الثاني ابن الحسين، حفظَهُ اللهُ ورعَاه، شكّلت الوزارةُ عددًا من اللّجان للإشراف على عَقْد النّدواتِ والمعارض، وعلى الاحتفالات بالقدس طَوالَ عام ٢٠٠٩. وضمّت هذه اللّجانُ لَجْنَةَ الإصدارات والنّشر التي انبرتْ منذ تشكيلها بكلّ ما بِوُسْعها لإصدارِ عددٍ من الكتب الجديدة القيّمة عن القدس؛ إضافةً إلى إعادة نشر عددٍ من الأعمال الشّامخة التي يصعبُ الحصولُ عليها لسببٍ أو لآخر. وركّزت اللّجنةُ على الأعمال المقدسيّة الكاملة لعدد من المؤرّخين المشهود لهم بالمستوى الرّفيع والإتقان والإخلاص. ولمْ تتوانَ الوزارةُ بكلّ طاقَمها عن تيسير الأمور والمساعدة في المتابعة وحلّ المشكلات. كما لمْ تتردّدْ قطّ عن الموافقة على أيّ قرار اتّخذتْهُ اللّجنة؛ بما في ذلك خُطّةُ العمل التي احتوتْ على موازنةِ المشروعِ بأكمله.

فالشّكر كلّ الشّكر لبلدِنا الغالي، ولوزارة الثّقافة – وزيرًا وأمينًا عامًّا والعاملين فيها فرْدًا فرْدًا – لما قدّموهُ بتفانٍ ومحبّةٍ وسَعةِ أُفق للقدس التي لنْ تنساها الأمّةُ أبدًا.

اللّجْنة العُليا
للقدس عاصمة الثّقافة العربيّة لعام ٢٠٠٩
وزارة الثّقافة

عمّان: ٢٠٠٩/١٢

إهداء

إلى أطهر أرض ...... وأقدس تراب...

إلى مدينة الإسراء ... أقدّم هذا البحث.

مقبولة حسن خليل



ثبت المحتويات

تقديم

هذه دراسة تتناول مدينة القدس في العهد الأيوبي، من الجوانب الجغرافية والتاريخية والإدارية والعمرانية والفكرية، قُصِد من وضعها:

١-تزويد المكتبة العربية التاريخية بحقائق جديدة عن مدينة القدس لم يتطرق لها كثير من الباحثين باللغة العربية.

٢-توضيح التطورات الرئيسية لتاريخ مدينة القدس خلال هذه الفترة.

٣-إبراز إنجازات السلاطين والملوك الأيوبيين وتوضيح دورهم في إعادة عمران المدينة.

٤-تشجيع الباحثين على دراسة التاريخ الأيوبي بجانبيه المشرق والمظلم.

منهجية البحث:

اعتمدت في استخلاص مادة متن البحث على المصادر الأولية المعاصرة للأحداث، والمصادر المتوفرة الأخرى التي تحدثت بشكل مباشر أو غير مباشر عن مدينة القدس، وعكفت على دراستها دراسة فاحصة، فقابلتها بالتواريخ المختلفة، وأخذت ما اتفقت عليه المصادر وما كان مناسباً لسياق الأحداث أو ما اعتقدته صواباً، آخذة بعين الاعتبار ميول المؤلف ومعاصرته للمادة التي دوَّنها، أو الأخبار التي ذكرها لقربه أو بعده عن مكان الحدث، ومصادره التي اعتمدها في إيراده التواريخ والأخبار، وبعد ذلك كنت أدرس المراجع الحديثة بغية الاستعانة بأساليب المؤلفين في تحليل الأحداث، ومقارنة ما توصلت إليه من نتائج أو آراء بما أورده الباحثون عن خبر أو حدث، ولم أكن أكتفي بذلك، بل كنت أقتبس ما أراه مهماً أو ما يمكن أن تقل قيمته بشرحه، فكنت أضعه بين

معقوفتين " " ومن ثم أقوم بتوضيحه أو التعليق عليه إذا لزم الأمر، وكنت أستعين بالجمل المعترضة لتوضيح ما أجده مبهماً على القارئ.

أما في الحواشي فقد عملت على اختصار اسم المؤلف والكتاب بعد إيراد ذلك كاملاً في المرة الأولى، كما استعملت بعض الرموز المختصرة كحرف (ج) ويعني جزء و (م) (مجلد) و (ق) قسم، و (ط) طبعة، وحرصت على تعريف كل ما احتاج إلى تعريف، فكنت أترجم للشخصية أو أذكر وفاتها من مصادر مختلفة، كما كنت أعرِّف بالمواقع والمدن أو أثبت الرسم المختلف للموضع المثبت في بعض المصادر، هادفة من ذلك تحقيق الأمانة العلمية، وتبيان الجهد الذي بذلته في ذكر الموقع من حيث عدم الاكتفاء بمصدر واحد، كما حرصت على انتظام الترقيم المتسلسل حسب ضروريات التوثيق السابقة.

ورغبة مني في توضيح صورة مدينة القدس في العهد الأيوبي، فقد قسمت البحث إلى خمسة فصول، بدأتها بفصل تحدثت فيه عن موقع مدينة القدس ووصفها طبوغرافياً، ومن ثم تناول قراها وأعمالها وحدودها وجبالها وأوديتها ومصادر المياه فيها وجيولوجيتها ومناخها.

وخصصت الفصل الثاني للحديث عن تاريخ مدينة القدس في العهد الأيوبي من الفتح الصلاحي سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) حتى تبعية المدينة للماليك سنة (٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) مع بقية بلاد الشام، وفصلت الحديث عن التطورات التاريخية التي جرت خلال هذه الحقبة، مع تحليل الأخبار التي تستلزم التحليل. وفي الفصل الثالث درست إدارة مدينة القدس في هذه الفترة واعتمدت في ذلك على المصادر المالية والإدارية بالدرجة الأولى، ومهدت للفصل بالحديث عن النظم الإدارية في الدولة الإتابكية، كي أعطي الصورة الحقيقية لنظم الأيوبيين، ثم ذكرت النظم الإدارية في العهد الأيوبي بشكل مختصر ونظم إدارة المدن والقلاع، لأستطيع بهذا تحديد شكل نظم مدينة القدس الأيوبية، وقد ساعدتني تلك الأمور -حسبما رأيت- في اتخاذ جانب الصواب في ذكر الولاة واختصاصاتهم، والقضاة وحكمهم، وبقية الوظائف الإدارية الأخرى في المدينة.

أما الفصل الرابع فقد درست فيه تخطيط مدينة القدس، والمنشآت العمرانية في عهد الأيوبيين، وقدمت لهذا بحديث عن تخطيط المدينة زمن الصليبيين نظراً لتوفر المادة التي بحثت ذلك، إضافة إلى أن تخطيط المدينة في العهد الصليبي بقي كما هو في العهد الأيوبي، باستثناء تغيير أسماء الشوارع أو المنشآت. وبعد حديثي عن تخطيط المدينة في العهد الصليبي، تناولت المدينة في العهد الأيوبي، فذكرت بشكل مقتضب ما قام به الأيوبيون، ومن ثم فصَّلت الحديث عن المنشآت العمرانية التي بناها السلاطين أو الأمراء في هذا العهد، وختمت الفصل بالحديث عن السكان وتوزيعهم.

وفي الفصل الخامس بينت الجوانب الثقافية والفكرية لمدينة القدس في عهد بني أيوب، فتكلمت عن الطابع الإسلامي الذي عاد للمدينة بعد فتح صلاح الدين الأيوبي، ثم تناولت نظام المدارس في ذلك الوقت، ومن ثم تحدثت عن دور العلم المختلفة كالمدارس والخانقاة والزوايا والجامع الأقصى والبيمارستان.

وكنت أورد في نهاية كل فصل خلاصة تركز على أهم النقاط الواردة في الفصل المدروس، ورغبة مني في إتمام الفائدة العلمية، فقد أرفقت بفصول الرسالة بعض الخرائط التوضيحية، كما أوردت قائمة بالمصادر المخطوطة والمطبوعة والمراجع والدوريات.

وبعد، فإنني أرجو أن أكون قد وفقت لغايتي من هذا البحث، وأن أكون قد أضفت للمكتبة العربية حقائق جديدة عن مدينة هي في أمس الحاجة إلى أقلامنا بعدما تنحت سيوفنا عن تحريرها، كما أرجو الله تعالى أن يوفق غيري في إكمال ما عجزت عنه، إن كان هناك عجز أو تقصير،والحمد لله الذي بنعمته وبعونه يدرك كل خير ويتم كل فضل.



الفصل الأول

جغرافية مدينة القدس

١- موقع المدينة وطبوغرافيتها وحدودها

٢- أعمال المدينة وقراها

٣-تضاريس مدينة القدس:

أ- الجبال　　　　ب- السهول

٤-الأرض والمياه

أ- الأرض　　　　ب-المياه

٥-المناخ

٦-خلاصة



١-موقع المدينة وطبوغرافيتها وحدودها:

تقع مدينة القدس على خط طول ١٤ – ١٣ ٣٥° شرقاً، وعلى درجة عرض ٤٦ – ٣٧ ٣٥° شمالاً، وترتفع عن مستوى سطح البحر ٧٨٧ متراً تقريباً، وتبعد عن البحر المتوسط ٥٧ كيلو متراً[١] وعن البحر الميت ٢٢ كيلو متراً[٢].

وتتألف المنطقة من الناحية الطبوغرافية من عدة عناصر أرضية رئيسية متوازية وهي: الحافة الشرقية المقام عليها الحرم الشريف، والحافة الغربية التي يعرف أقصاها الغربي بجبل صهيون، ويقع الواد[٣] بينهما[٤].

والحافتان تمتدان باتجاه جنوب شرق الوادي بانحدار خفيف من القمة على بعد ٢٥٠٠م من باب العامود (دمشق) نحو المدينة، من ارتفاع ٨٣٠م – ٧٥٩م فوق سطح البحر، أي من جبل صهيون إلى باب دمشق، ومن ثم يتجزأ المنحدر إلى قسمين: الأول باتجاه الغرب على شكل رصيف حيث حارات النصارى والأرمن واليهود، والآخر إلى الشرق حيث الحرم الشريف.

ويبدو أن الحافتين، تتمتعان بموقع دفاعي حصين، وذلك بسبب إحاطتها بواديين

---

(1) Karl R. Schaefer, Jerusalem in the Ayyubid and Mamlukeras, New York University, ph. D 1406/ 1985. p.73.

(٢) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٩، ق٢، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص ١٣.

(٣) سمي الوادي الأوسط بالواد، كما دعي بوادي التيروبون، انظر عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ٣٠.

(٤) يدعى وادي الربابة وكذلك بوادي هنوم ووادي جهنم، انظر:
يحيى الفرحان، قصة مدينة القدس،
المنظمة العربية للتربية والعلوم - دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، ١٣٠هـ / ١٩٨م، ص ٣٢.

معروفين، الأول يدعى وادي قدرون ويقع شرق المدينة، والآخر يسمى الربابة ويحيطها من الغرب والجنوب، من هنا يتبين أن خمسة عناصر أرضية تسود في المنطقة هي:

حافتان؛ واحدة في الشرق والأخرى في الغرب، يفصل بينهما الواد، وأودية عميقة تحيط المدينة من جهاتها الثلاث [1].

• **الحافة الغربية:**

تعتبر الحافة الغربية أعلى وأعرض من الحافة الشرقية[2]، وتشكل أكثر من نصف مساحة المدينة داخل السور، وتتخذ مساراً مستقيماً نحو الجنوب، بحيث يصل أعلى جزء لها عند الزاوية الشمالية الغربية للمدينة؛ أي قرب الباب الجديد شمال غرب المدينة والبرج، ومن هذه المنطقة تنحدر الأرض بلطف باتجاه الجنوب الشرقي، بينما يكون الانحدار أكثر حدَّة نحو الشرق، خاصة كنيسة القيامة التي تبعد ٣٢٥م جنوب شرق الباب الجديد الذي يرتفع ٧٦٦٠م، في حين يرتفع باب يافا شرق القلعة ٧٠٠م. ويبدو أن الحافة هنا تضيق فجأة، غير أنها لا تلبث أن تتسع مرة أخرى جنوب القلعة، مستمرة على طول الحائط الغربي للمدينة إلى أن تنحدر بشدة نحو الشرق في منطقة الواد المقام عليها حارات الأرمن واليهود، وتتابع الحافة الانحدار بلطف إلى أن تصل إلى الجنوب الشرقي، حيث تتراوح ما بين ٧٧٧-٧٦٧م بمساحة تقدر بـ ٦٠٠م٢، ويظهر أن جانباً من الحافة الغربية يتخذ مساراً غربياً يعمل على تشكيل هضبة صغيرة تنحدر بشدة ما بين ٧١٠م – ٦٨٠م في أرض وادي الربابة[3].

(1) Schaefer, Jerusalem, p. 77.
(2) George Adam Smith, Historical Geography of Jerusalem, Reprinted from the book originally published in 1325/ 1907, Vol. 1, p. 33.
(3) Schaefer, Jerusalem, p. 79.

- **الحافة الشرقية:**

تتفرع الحافة الشرقية عن الحافة الغربية خارج السور قرب باب العامود (دمشق)، وضمن منطقة محددة من قبل سور المدينة مشكلة مثلثاً حاداً يقع رأسه تحت المسجد الأقصى، وتنقسم الحافة إلى قسمين: الأول يتجه قبالة خط سور المدينة المقابل لوادي قدرون، والثاني يسير موازياً لجزء من الواد وبضعة أمتار إلى الشرق من الشارع الذي يسير على طول الواد، وتبدو الحافة داخل السور بملامح طبيعية مجزأة ما بين باب دمشق وباب الساهرة حيث يوجد تل[1] يرتفع ٧٧٠م[2] ويتجه بِمَيْل نحو الجنوب الشرقي إلى الحرم الشريف وإلى السور الشرقي للمدينة ووادي قدرون، ومن ثم ينحدر جنوباً حتى خارج سور الحرم الشمالي بارتفاع مقداره ٧٤٦م، ويصل الانحدار شرقاً أقصاه عند زاوية التقاء السور الشمالي بالسور الشرقي للحرم عند مستوى ٧٣٥م. وبالمقابل فإننا نلحظ وجود منخفض شرق التل يرتبط بوادي قدرون مباشرة إلى الجنوب من باب ستّنا مريم، ويتخذ انحداراً متقطعاً نتيجة بعض الركام أو النفايات.

تستمر الحافة الشرقية في اتجاهها حتى تصل إلى نهايتها الجنوبية عند التل المحاذي لسور الحرم الشريف. ويظهر من خلال تتبع الحافة الشرقية، أن منطقة الحرم الشريف تشكّل جزءاً كبيراً منها، بما في ذلك موقع قبة الصخرة الذي يُعدُّ أعلى بقعة في المنطقة، حيث يبلغ ارتفاع أرضيته ٧٧٤م، بينما ترتفع الصخرة نفسها ١،٥م عن المستوى المذكور، ولدى مقارنة ارتفاع أرضية القبة بأرضية المناطق المحيطة من الشرق أو الغرب أو الجنوب، نرى أن مستويات تلك المناطق أخفض من مستوى أرضية القبة التي يبلغ ارتفاع بنائها في المتوسط ٤م عن المستوى العام لأرضية الحرم الشريف. ولعل الاختلاف في الارتفاع يسود بشكل كبير في الجهة الغربية، وفي النهاية الجنوبية للحافة المغطاة بأرضية الحرم التي تخدم امتداده نحو الجنوب، بينما تبدو أرضية الجهة الغربية الشرقية مدعومة بالأقواس والأعمدة الكثيرة[3].

(1) Schaefer, Jerusalem, p. 80.
(2) Smith, historical Geography, p. 33.
(3) Schaefer, Jerusalem, p. 83.

تبدو المنطقة الجنوبية الغربية للحرم غير واضحة طبوغرافياً[1]. وقد أشير إلى وجود اثنين أو ثلاثة صهاريج في الزاوية الجنوبية الغربية، مما يجعلنا نفترض أن شرق الحافة يضيق باتجاه الغرب في نهايتها الجنوبية، كما أن أرضية الحرم المقام عليها المسجد الأقصى لا تمتد إلى جانب سور الحرم الغربي في أية نقطة، بل تتخذ المسار الجنوبي الشرقي للسور الذي يرتفع صخره المكشوف حوالي ٦٩٥م ويبلغ متوسط ارتفاع حائطه الشرقي ٧٢٠م، ومن هنا تنحدر الأرض بشدة باتجاه وادي قدرون الذي يهبط منسوبه ما بين ٦٦٠ – ٧٠٠م عن سطح البحر، وهكذا فإن سور الحرم محاط من الشرق بوادي قدرون، ومن الغرب بوادي (الواد)، الذي يصبح أقل عمقاً خارج أسوار المدينة.

ونستطيع أن نقرر أن أعلى نقطة للحافة الشرقية في مدينة القدس تقع إلى الشرق من باب الساهرة، بحيث تنخفض ٤٠م عن قمة جبل الزيتون و ١٨م عن أعلى نقطة داخل الأسوار في الحافة الغربية، بينما أعلى نقطة في الحرم تنخفض ٣٣م عن نفس المنطقة في الزاوية الشمالية الغربية للمدينة و ٦٦م عن قمة جبل الزيتون[2].

الواد:

يشكل الواد ثالث عنصر رئيسي من العناصر المؤلفة لطبوغرافية المدينة، حيث يفصل الحافة الشرقية عن الغربية قرب باب العامود (دمشق) في السور الشمالي للمدينة، ومن ثم يتجه غرباً بارتفاع تدريجي نحو الزاوية الشمالية الغربية لحائط المدينة إلى أن يصل إلى باب العامود (دمشق) الذي يرتفع ٧٥٩م عن سطح البحر، أي أنه أخفض ٢٨م عن أعلى نقطة في الحافة الغربية[3]، ويبدو أن موقع باب العامود (دمشق) في هذا المكان قد قطع الاستمرار الطبيعي لمسير الواد وجعله يقتصر داخل

(1) Smith, historical Geography, p. 34.
(2) Schaefer, Jerusalem, p. 84.
(3) Ibid, p. 85.

أسوار المدينة فقط[1]؛ إذ يلاحظ أن الحافة الشرقية والحافة الغربية تنفصلان قبل أن تصلا إلى السور مباشرة عند بوابة دمشق، ونظراً لوجود تل بزيتا فإن الوادي يصبح ضيقاً وأكثر وضوحاً[2] في هذه المنطقة.

يجري الوادي داخل المدينة حوالي ٧٥٠م، بحيث يظهر بشكل بيّن في مرحلتين الأولى: من باب العامود (دمشق) إلى الجنوب من شارع الواد، أي بمسافة مقدارها ١٥٠٠م[3]، وبارتفاع يتراوح بين ٧٣٥ - ٧٥٩م عن سطح البحر. أما المرحلة الثانية فتستمر حتى باب المغاربة، الذي تقع عنده أخفض بقعة في الوادي على ارتفاع ٧٢٧م، وهذا يعني أن الجزء الثاني من الوادي الذي يصل طوله ٦٠٠م ينزل فيه المستوى فقط ٨م، وحينما يصل الواد عند باب المغاربة يتسع مرة أخرى وينحدر بشدة ٩٠م في مسافة تبلغ ٥٠٠م باتجاه التقاء وادي قدرون مع وادي الربابة[4].

•الأودية حول المدينة

تحيط الأودية مدينة القدس من الجهات الثلاث: الشرقية والغربية والجنوبية، مشكّلة خطوط دفاع طبيعية، جعلت اقتحام المدينة أمراً صعباً إلا من الجهتين الشمالية والشمالية الغربية[5].

تبدأ الأودية امتدادها من وادي الجوز، المنطلق من شمال غرب باب العامود (دمشق) ثم يتجه الوادي بانحدار لطيف إلى الجنوب الشرقي حول الزاوية الشمالية الشرقية لسور المدينة، حيث يظهر بشكل ضيق وعميق، إلى أن يتصل بوادي قدرون

(1) Smith, historical Geography, p. 36.
(2) Schaefer, Jerusalem, p. 86.
(3) Smith, historical Geography, p. 36.
(4) Schaefer, Jerusalem, p. 86.

(٥) أحمد مرعشلي، عبد الهادي هاشم، أنيس صايغ المستشار - مادة القدس، الموسوعة الفلسطينية م٣، ص - ك، ط١، دمشق، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، ص ٥٠٩.

الممتد حوالي ٩٠٠م[١] إلى الشمال من الزاوية الشمالية الشرقية لسور المدينة، وفجأة يبدأ بالانحدار بشدة وينحني راجعاً تقريباً باتجاه الجنوب[٢]، وعند هذه النقطة يصل ارتفاع باطن الوادي إلى ٧٢٠م عن سطح البحر في حين يصل مستوى انخفاضه ٢٠م خلال مسافة ٦٠٠م. ومن جهة أخرى فإن بعد الوادي في تلك المنطقة عن السور الشرقي للمدينة إلى الارتفاع المقابل في جبل زيتون يبلغ ٤٥٠م، بينما البعد المباشر لقمة الجبل عن النقطة نفسها يكون ٧٠٠م[٣].

يصل عمق وادي قدرون عند آخر منطقة إلى ٦٨٠م، وتكون جوانبه في الجهة الغربية منحدرة بشكل واضح أكثر من الجهة الشرقية، في حين يبلغ الانحدار أقصاه باتجاه الجنوب وعند الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة، يظهر الوادي ضيقاً بالقرب من الحائط الشرقي وشمال باب ستنا مريم، ثم يهبط جنوب هذا الباب من ٤٠ – ٦٠م أي من ٧٢٠ – ٦٨٠م. وأخيراً يصل إلى ٦٦٠م خلال مسافة تقدر بـ ١٢٥م[٤].

يتابع وادي قدرون جريانه بعد السور الجنوبي للمدينة بمسافة ٧٢٥م إلى أن يلتقي بوادي الربابة الآتي من الغرب من الزاوية الشمالية الغربية لسور المدينة، حيث يبدأ من بركة ماملا، ثم يتجه إلى الغرب منها في امتداد طبيعي يصل إلى الشرق[٥] -الجنوب الشرقي- صوب الباب المعروف بباب يافا، وبعد ذلك يحوّل اتجاهه إلى الجنوب[٦] متخذاً الحافة الغربية حدَّه الشرقي، بينما يحدُّه من الغرب تلٌّ يعتبر امتداداً جنوبياً لمرتفع شمال غرب المدينة.

يستمر وادي الربابة في مسيره حتى يصل إلى بركة السلطان عند الزاوية الجنوبية الغربية لسور القدس، ويبدو الوادي عند هذه النقطة منخفضاً بمعدل ٢٠م، أي ما

(1) Schaefer, Jerusalem, p. 89.
(2) Smith, historical Geography, p. 39.
(3) Schaefer, Jerusalem, p. 89.
(4) Ibid, p. 89.
(5) Ibid, p. 89 – 90.
(6) Smith, historical Geography, p. 41 – 42.

يعادل ١/٣ – ½ معدل انحدار وادي قدرون على طول السور الشرقي للمدينة، وإلى الجنوب من البركة ينعطف الوادي شرقاً حول قاعدة الحافة الغربية، ثم يجري بين النهاية الجنوبية للحافة المسماة بجبل صهيون وجبل الطور، وعلى بعد ١٠٥٠م من بركة السلطان و ١٥٠م من بركة سلوان باتجاه الجنوب، يلتقي وادي الربابة مع وادي قدرون ويشكلان وادياً يسمى وادي النار[١]، يبدأ من جنوب شرقي المدينة ثم يتجه إلى الجنوب الشرقي ويصب في شمال غربي البحر الميت عند درجة عرض ٤٠، ٣١° وخط طول ٢٦، ٣٥°[٢].

ومن الجدير بالذكر، أن نقطة التقاء وادي الربابة مع وادي قدرون ترتفع ٦٢٠٥م عن سطح البحر وينخفض مستواه ١٥٠م، وبهذا يكون وادي الربابة قد انخفض منسوبه من منبعه إلى هذه النقطة ١٥٠م، بينما انخفض وادي قدرون في المقابل ١٠٠م[٣].

- الحدود:

كانت حدود ولاية القدس في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، تقع في دائرة نصف قطرها ٤٠ ميلاً / ٣٧٣٦ و ٦٤كم، تضم مدناً وقرى عديدة، وتمتد إلى البحر الميت شرقاً حيث تحاذيه مسافة ١٢ ميلاً / ١٩،٣١٢٠٨كم، بينما تمتد شمالاً إلى تخوم نابلس وجنوباً إلى ما وراء الكسيفة[٤] شرق بئر السبع[٥].

وبعد قرن من الزمن أي في الفترة الصليبية، ظهرت حدود مدينة القدس بشكل أوضح من السابق، حيث حددت شرقاً بالبحر الميت ومدينة سنجل، وشمالاً بـ قراوة –

---

(1) Schaefer, Jerusalem, p. 90.

(٢) عبد الحميد، القدس، ص ١٦.

(3) Schaefer, Jerusalem, p. 90.

(٤) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خيّاط، بيروت - لبنان - ١٣هـ / -١٩م، ص ١٧٣.

(٥) مركز القدس للدراسات الإنمائية - لندن، خارطة فلسطين - القرى الفلسطينية المهدومة والاستعمار الصهيوني الاستيطاني خلال مئة عام ١٣٠٠ - ١٤٠٢هـ / ١٨٨٢ - ١٩٨٢م.

بلد - بني زيد وغرباً باللبَّن وبيت نوبة وعجور، وجنوباً بسعير شمال الخليل[1]. ويبدو أن معظم هذه الحدود بقيت على ما هي عليه في العهد الأيوبي، باستثناء إضافة بعض المدن من حين لآخر، كإضافة نابلس وأعمالها زمن ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) إلى ولاية القدس[2].

وإذا تتبعنا حدود ولاية القدس في العهد المملوكي من خلال قول العليمي: "وأما الحدود المنسوبة لبيت المقدس عرفاً مما يطلق عليها عمل القدس، ويسوّغ لقضاة القدس الحكم فيه: فمن القبلة عمل بلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام يفصل بينهما قرية سعير وما حاذاها، وهي من عمل القدس، ومن الشرق نهر الأردن وهو المسمى بالشريعة، ومن الشمال عمل مدينة نابلس يفصل بينهما قرية سنجل وعزّون[3] وهما من أعمال القدس، وتتمة الحد رأس وادي بني زيد، وهو من أعمال الرملة، ومن الغرب مما يلي رملة فلسطين قرية بيت نوبة، وهي من أعمال القدس، ومما يلي مدينة غزة قرية عجور وهي من أعمال غزة"،[4] فإننا نراها تشابه إلى حد بعيد ما تمَّت الإشارة إليه في العهد الصليبي والأيوبي.

---

(1) Jonathan Riley Smith، the feudal nobiuty and kingdom of Jerusalem، 570 - 676 / 1174 - 1277. First Published، London 1393/ 1973، p. 169.

(٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ / - ١٩٨٠م ج٢، ص ١٦٠.

(٣) عزّون: تقع إلى الشرق من قلقيلية، وعلى مسيرة ٤٠٠٠م من طولكرم. الدباغ، بلادنا، ج٣، ق٢ ط١، دار الطليعة: بيروت، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، ص ٣٩٠.

(٤) العليمي، أبو اليمن مجير الدين الحنبلي، (ت ٩٢٨هـ / ١٥٢١م)، الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج٢، مكتبة المحتسب، عمان، ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م، ص ٨٣.

٢-أعمال المدينة وقراها:

أشارت المصادر إلى أعمال[١] مدينة القدس المحدودة بما يلي:

١- أَرْطَاس[٢]: قرية تقع جنوب بيت لحم بحوالي ٧٠٠٠م[٣].

٢- بيت لِقْيَا: قرية تقع إلى الغرب من رام الله بانحراف قليل، ترتفع ٤٨٧،٦٨م (١٦٠٠قدم) عن سطح البحر[٤]، أوقفها الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر على المدرسة المعظمية بالقدس[٥].

٣- البِيْرَة[٦]: قرية (بليدة) في شمال القدس، تبعد عن المدينة مسافة ١٦٠٠٠م (١٦كم)، وترتفع عن سطح البحر ٨٨٤م[٧].

٤-الجِيْب[٨]: قرية تقع على بعد ١٠٠٠٠م (١٠كم) شمال غرب القدس،ترتفع عن سطح البحر ٧١٠م[٩].

---

(١) الأعمال: وحدات إدارية يعين عليها ولاة من قبل السلطان، أُعتبرت جزءاً من النيابة في العهد المملوكي.

(٢) مجهول، تاريخ القدس والخليل عليه السلام، شريط مصور في مكتبة الجامعة الأُردنية رقم ٥٦٠، ص ٤٧.

(٣) قسطندي نقولا أبو حمود، معجم أسماء المواقع الجغرافية في فلسطين، جمعية الدراسات العربية القدس، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، ص ١٧.

(٤) الدباغ، بلادنا، ج٨، ق٢، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ٣٧٨. قسطندي معجم، ص ٣٦.

(٥) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م، ص ١٤٦.

(٦) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٤، تحقيق: حسنين محمد ربيع، دار الكتب، مصر، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ص ٢٤١.

(٧) قسطندي، معجم، ص ٤٠.

(٨) السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)، الأنساب، ج٣، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ج٣، ط٢، بيروت - لبنان، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٤٠٥ "بالهامش".

(٩) الدباغ، بلادنا، ج٨، ق٢، ص ٧٨.

٥-زكريا[١]: قرية تقع شمال غرب الخليل بارتفاع مقداره ٢٨٧م، أقرب قرية لها عجّور[٢].

٦-قَرَتيَّا[٣]: بلد قرب بيت جبرين من نواحي فلسطين، يرجح أنها قرية (كرتيّا) الواقعة شمال غرب مدينة الفالوجة على مسافة ١٨٠٠٠م (١٨كم) من الساحل الفلسطيني[٤].

٧-مجدل حَباب[٥]: قرية في سهليات الخليل[٦]

أما قرى المدينة فهي:

- أبو دِيْس[٧]: بلدة تقع جنوب شرق القدس على بعد ٤٠٠٠م (٤كم)، وترتفع ٧٢٥م عن سطح البحر[٨]، تحيط بها الأودية العميقة من جميع الجهات[٩].

- بَتِّير[١٠]: قرية تقع إلى الجنوب الغربي من القدس على بعد ٨٠٠٠م (٨كم)، ترتفع

---

(١) مجهول، تاريخ، ص ٤٧.

(٢) الدباغ، بلادنا، ج٥، ق٢، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ص ٢٦٧. ياقوت، معجم، ج٤، ص ٣٢٠.

(٣) ورد ذكر لهذه البلدة ضمن فتوحات صلاح الدين الأيوبي، العماد الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبو الفرج الكاتب (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبيح، الدار القومية - القاهرة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ص ٢٠٠.

(٤) البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج٣، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م، ص ١٠٧٥.

(٥) وردت لدى ياقوت في المشترك ص ٣٨٤، "حياب" لكن الاسم الدقيق هو ما أورده العماد في الفتح، ص ٢٠٠، وكما أوردناه.

(٦) ياقوت الحموي، المشترك وضعاً والمفترق صعقاً، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٣٨٤.

(٧) محفوظات رئاسة الوزراء باستانبول، طابو دفتري، صفد، عجلون، غزة، القدس، نابلس لواء القدس، شريط رقم ٥٢٢، ص ١٩، طابو دفتري، خليل الرحمن، القدس، شريط رقم ٣٤٢، ص ١٦.

(٨) قسطندي، معجم، ص ١٥.

(٩) محمد أحمد سليم اليعقوب، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، رسالة جامعية بإشراف: محمد عدنان البخيت، عمان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٤.

(١٠) محفوظات، شريط ٥٢٢، ص ٢٩، شريط ٣٤٢، ص٧.

٦٣٢،٤٦م (٢٠٧٥قدم) عن سطح البحر[١].

- بيت رَاس: قرية في مدينة القدس اشتهرت بالكروم[٢].

- بيت سَاحُور[٣]: قرية تقع جنوب شرق القدس على بعد ١١٠٠٠م (١١كم)[٤] وبالتحديد شرق بيت لحم[٥].

- بيت صَفَافَا[٦]: قرية جنوب غرب القدس، تحاذيها من الشرق قرية صور باهر[٧] ومن الغرب قرية شرفات[٨].

- بيت صُور: قرية قرب الخليل، على جانب الطريق[٩].

- بيت فُوجه[١٠]: مدينة على بعد ١٢٠٠٠م (١٢كم/ فرسخين) من القدس[١١].

- بيت نُوبَة[١٢]: قرية شمال غرب القدس، وجنوب غرب رام الله[١٣]. يجاورها دير

---

(١) الدباغ، بلادنا، ج٨، ق٢، ص ١٨٢.
(٢) ياقوت، معجم، ج١، ص ٥٢٠.
(٣) محفوظات، شريط ٥٢٢، ص ٢٨، شريط ٣٤٢، ص ١٤.
(٤) قسطندي، معجم، ص ٣٣.
(٥) علي سعيد خلف، شيء من تاريخنا، ط١، وكالة أبو عرفة للصحافة، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م، ص ١١١.
(٦) سجلات المحاكم الشرعية بالقدس، ميكروفيلم، سجل ٩٥، شريط ٥٠٧، ص ٤٢٦.
(٧) قسطندي، معجم، ص ٣٤.
(٨) فلسطين، خارطة.
(٩) ياقوت، المشترك، ص ٢٨٦.
(١٠) وردت كذلك بيت فاجي، أحمد سامح الخالدي، أهل العلم والحكم في ريف فلسطين، ط١، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ٩٠.
(١١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، م٥، ق١، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ١٣٨٦ - ١٣٨٨هـ / ١٩٦٦ - ١٩٦٨م ص ٧١٥.
(١٢) ابن شدّاد، بهاء الدين (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، سيرة صلاح الدين، ط١، تحقيق: جمال الدين الشيّال، الدار المصرية، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ص ٢١٢، ابن واصل، مفرج، ج٢، تحقيق: جمال الدين الشيّال، القاهرة، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م، ص ٣٩٤.
(١٣) قسطندي، معجم، ص ٣٦.

اللطرون بالقرب من طريق القدس - يافا[1].

- البَقْعَة[2]: أرض زراعية بظاهر القدس من جهة الغرب إلى جهة القبلة، وقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي على الخانقاه الصلاحية[3].

- تَقُوع: قرية تبعد نحو ١٢٠٠٠م (١٢كم) جنوب شرق بيت لحم[4]، يضرب بجودة عسلها المثل[5].

- الجُورة[6]: قرية تقع غرب القدس، تقابلها من الشمال قرية عين كارم[7]

- خَرَاب: قرية من قرى القدس[8].

- خَيْرَان: قرية من قرى القدس[9].

- دير أبي ثُور: قرية صغيرة تقع بجانب البقعة من جهة الشمال، قريبة من باب الخليل[10].

---

(١) محمد إبراهيم الشاعر، جغرافية فلسطين العسكرية، معهد البحوث والدراسات العربية - قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، القاهرة، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص ٣١٤.

(٢) سجل ٩٥، شريط ٥٠٧، ص ٤٢٦، محفوظات، شريط ٦٠٢.

(٣) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٥٩.

(٤) الدباغ، بلادنا، ج٨، ق٢، ص ٤٩٦.

(٥) ياقوت، معجم، ج٢، ص ٣٧، البغدادي، مراصد، ج٢، ص ٢٦٧.

(٦) وردت في السجل ٩٥، شريط ٥٠٧، من سجلات المحاكم الشرعية بالقدس، ص ٤٢٦ الجُورة العليا والجُورة القبلية

(٧) قسطندي، معجم، ص ٦٤.

(٨) محفوظات، شريط ٥٢٢، ص ٢٧، شريط ٣٤٢، ص٧.

(٩) السمعاني، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى، ج٥، ط٢، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٢٤٠، التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ص ٢٠٨، ياقوت، معجم، ج٢، ص ٤١١.

(١٠) العليمي، الأنس، ج٢، ص٦٠، اللقيمي، مصطفى أسعد بن أحمد بن سلامة (ت ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م) موانح الأنس برحلتي إلى القدس، مخطوط مصور، ورقة ٥٤.

- دير السَّد[1]: قرية من قرى القدس، وصفت بأنها خراب[2].

- دير عَمّار[3]: قرية تقع شمال غرب القدس، وشمال غرب رام الله[4].

- رَامَةَ: اسم لقريتين واحدة تقع شمال القدس[5]، والأُخرى في الخليل وبها مقام إبراهيم عليه السلام[6].

- الرُمَيْلَة: قرية من قرى القدس الشريف[7].

- سِلْوَان: قرية مجاورة لسور القدس[8] من الجنوب، ولقرية الطور من الشمال[9]. اشتهرت بعين سميت بعين سلوان[10] ماؤها مثل ماء زمزم يخرج من تحت قبة الصخرة ويظهر بالوادي -وادي جهنم- قبلي البلد[11].

- سُور بَاهر[12]: قرية تقع جنوب القدس، تبعد ٤٠٠٠م (٤كم) عنها[13].

---

(١) محفوظات، شريط ٥٢٢، ص ٢٩.
(٢) الدباغ، بلادنا، ج٨، ق٢، ص ٢٠١.
(٣) محفوظات، شريط ٥٢٢، ص ٢٥.
(٤) قسطندي، معجم، ص ٨٩.
(٥) يشير ياقوت في المعجم، ج٣، ص ١٨، إلى وجود قريتين في القدس بهذا الاسم، لكننا نرجح وجود واحدة فقط بناء على ما ذكره بنيامين التطيلي (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م، ص ١٠٧)، رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، المدرسة الوطنية - بغداد، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م.
(٦) الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت ٦١١هـ / ١٢١٤م)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م، ص ٢٩.
(٧) السمعاني، الأنساب، ج٦، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ص ١٦٦، ياقوت معجم، ج٣، ص ٧٣، المشترك، ص ٢١١.
(٨) سجل ٧٧، شريط ٥٠٢، ص ٥٨٨.
(٩) الدباغ، بلادنا، ج٨، ق٢، ص ١٥١.
(١٠) ياقوت، معجم، ج٥، ص ١٦٨، عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م)، رحلتي إلى القدس، الحضرة الأنيسية في الرحلة القدسية، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م، ص ٤١.
(١١) الهروي، الإشارات، ص ٢٧.
(١٢) سور باهر: هكذا وردت في سجل ٩٥، شريط ٥٠٧، ص ٤٢٦، وتلفظ الآن صُور بَاهر.
(١٣) قسطندي، معجم، ص ١٢٥.

- شُعْفَاط[1]: قرية بظاهر القدس من الشمال على بعد ٥٠٠٠ (٥كم) تقع في منتصف الطريق بين عناتا وبيت حنينا[2].

- صُدَر: قرية من قرى القدس[3].

- صُوْبَا[4]: قرية غرب القدس، تقع جنوب عين رافة، وجنوب القسطل[5]، ترتفع ٧٨٥،١٦٤٨م (٢٥٧٦ قدماً) عن سطح البحر[6].

- طَبْلِيَّة[7]: أرض بجوار بيت صفافا، بينها وبين مار إلياس[8].

- طُور زِيتَا[9]: قرية تقوم على جبل طور زيتا الشرقي المشرف على المسجد الأقصى، تتميز بكثرة الشجر والظل، أوقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي على الشيخ صالح ولي الدين أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن داود الهكاري، وعلى الشيخ الإمام الزاهد أبي الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الله الهكاري سوية بينهما ثم على ذريتهما[10].

- العازِرِيَّة[11]: قرية بظاهر القدس من جهة الشرق، تقع بقرب طور زيتا[12]، ترتفع

(١) محفوظات، شريط ٥٢٢، ص ٢٨، شريط ٣٤٢، ص ١٤.
(٢) الدباغ، بلادنا، ج٨، ق٢، ص ٨٥.
(٣) السمعاني، الأنساب، ج٨، اشترك في التحقيق: محمد عوامة، ط٢، بيروت - لبنان ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٤١، ياقوت، معجم، ج٣، ص ٣٩٧، البغدادي، مراصد، ج٢، ص ٨٣٥.
(٤) ياقوت، معجم، ج٣، ص ٤٣٢، البغدادي، مراصد، ج٢، ص ٨٥٥.
(٥) قسطندي، معجم، ص ١٢٤.
(٦) الدباغ، بلادنا، ج٨، ق٢، ص ١٣٥.
(٧) محفوظات، سجل ٩٥، شريط ٥٠٧، ص ٤٢٦.
(٨) الدباغ، بلادنا، ج٨، ق٢، ص ١٧٤.
(٩) محفوظات، شريط ٥٢٢، ص ١٩، شريط ٣٤٢، ص ١٦.
(١٠) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٦١.
(١١) هكذا وردت عند ابن شداد، النوادر، ص ٢١٥، ياقوت، معجم، ج٤، ص ٦٧، البغدادي، مراصد، ج٢، ص ٩٠٩، اللقيمي، موانح، ورقة ٢٩، أما الآن فتكتب (العِيزرية).
(١٢) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٧٥.

٧٢٥م عن سطح البحر[١].

- عقبة اللُّبَّن: قرية بين القدس ونابلس[٢].
- عَلاَّر الفُوقَا والسُّفْلى[٣]: قرية تقع جنوب غرب القدس، أقرب قرية لها بيت عطاب من الشمال[٤].
- عَيْن كَارم[٥]: قرية تقع جنوب غرب القدس، على مسيرة ٧٠٠٠م (٧كم)[٦].
- عَيْن يَبْرود: قرية شمال مدينة القدس، وشمال شرق مدينة رام الله[٧]
- عَيْنُون: قرية من قرى القدس الشريف[٨]
- لِفْتَا[٩]: قرية في الشمال الغربي من القدس بنحو ٤٠٠٠م (٤كم)، تقع تقريباً في منتصف الطريق بين شعفاط ودير ياسين[١٠].
- القُبَيْبَة[١١]: قرية تقع شمال غرب القدس، بدو أقرب قرية لها[١٢].

---

(١) قسطندي. معجم. ص ١٤٩.

(٢) ابن كثير. الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل - الدمشقي القدسي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م). البداية والنهاية. مكتبة المعارف. بيروت. ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م. ج١٣. ص ٧٦.

(٣) محفوظات. شريط ٥٢٢. ص ٢٩.

(٤) فلسطين. خارطة.

(٥) محفوظات. شريط ٣٤٢. ص ١٠.

(٦) الدباغ. بلادنا. ج٨. ق٢. ص ١٥٧. قسطندي. معجم. ص ١٥٣.

(٧) ياقوت. معجم. ج٥. ص ٤٢٧. البغدادي. مراصد. ج٣. ص ١٤٧٢.

(٨) الدباغ. بلادنا. ج٨. ق٢. ص ٣٣٧.

(٩) محفوظات. شريط ٣٤٢. ص١٦.

(١٠) الدباغ. بلادنا. ج٨. ق٢. ص ١٠٢.

(١١) سبط ابن الجوزي. شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان. ج٨. ق٢. ط١. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر أباد. ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م. ص ٤١٦.

(١٢) الدباغ. بلادنا. ج٨. ق٢. ص ٩٨. قسطندي. معجم. ص ١٦٦.

- قَلُونَية[1]: ضيعة تقع شمال غرب القدس[2]، على بعد ١٢٠٠٠م (فرسخين منها)[3].

- مَار صُمُوَئيل[4]: قرية تقع شمال غرب القدس على بعد ٨٠٠٠م (٨كم) منها، بنيت على قمة جبل ارتفاعه ٨٨٥م، فوق سطح البحر[5].

- مَاملا[6]: أرض صخرية بظاهر القدس من جهة الغرب، بها مقبرة مشهورة[7].

- يَبْرُود[8]: قرية تقع على طريق السالك من القدس إلى نابلس[9].

- يَاقين: قرية من قرى القدس[10] يعتقد أن موقعها شمال مدينة الخليل[11].

---

(١) تكتب الآن (قَالُونيا).

(٢) الدباغ، بلادنا، ج٨، ق٢، ص ١٠٩.

(٣) العماد، الفتح، ص ٥٩٢، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ج١٢، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، ص ٨١.

(٤) أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م)، الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجبل، بيروت، ج٢، ص ٢٠٥ تعني لفظة مار: القس، وسموئيل اسم رجل من الأحبار، انظر ياقوت، معجم، ج٥، ص ٤٠.

(٥) الدباغ، بلادنا، ج٨، ق٢، ص ٩٥.

(٦) سجل ٩٥، شريط ٥٠٧، ص ٤٢٦.

(٧) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٦٤ - ٦٥.

(٨) ياقوت، معجم، ج٥، ص ٤٢٧.

(٩) ياقوت، المشترك، ص ٤٤٢.

(١٠) ياقوت، معجم، ج٥، ص ٤٢٦.

(١١) أخذنا بهذا بعد قراءة ما كتبه الهروي في الإشارات، ص ٢٩، تحت عنوان: الطريق من القدس إلى مدينة الخليل عليه السلام حيث يعدد الأماكن التي يسلكها المرء للوصول إلى مدينة الخليل مرتبة كالتالي: قبر راحيل، بيت لحم، حلحول، رامة، كفر بريك، ياقين، الخليل.

٣- تضاريس مدينة القدس

- أ - الجبال:

تقع مدينة القدس ضمن المرتفعات الوسطى[١] المسماة بجبال القدس والتي تمثل جزءاً من سلسلة جبال تبدأ من جنوب تركيا مارة بسوريا ووسط لبنان ومنتهية بخليج السويس[٢].

تؤلف جبال القدس بما تحويه من مرتفعات نابلس والقدس والخليل، نجداً نافراً يتكون من عدد من الطيَّات المحدَّبة والصدوع التي تشكِّل من مدينة القدس فجوة بين محدب الخليل الإقليمي في الجنوب، وطيات نابلس في الشمال، بحيث يزيد ارتفاع جبال الخليل ونابلس على جبال القدس ما بين ١٠٠ – ٢٠٠م[٣]. ويمكننا تقسيم جبال القدس إلى قسمين: جبال داخلية أقيمت عليها المدينة القديمة، حددت بأربعة جبال هي:

١- الجبل الذي يقوم عليه الحرم الشريف الواقع شرقي المدينة[٤] على ارتفاع ٨٨٥م[٥].

٢- الجبل الواقع شمال شرقي المدينة بين باب الساهرة وباب حُطة[٦]، على ارتفاع ٧٩٢ [٧].

٣- الجبل الذي يتوسط البلدة، حيث توجد كنيسة القيامة على ارتفاع ٧٩٢م[٨].

---

(١) الشاعر، جغرافية، ص ٩١، ٩٣.

(2) Schaefer, Jerusalem, p. 74.

(٣) يحيى، قصة، ص ٣٧.

(٤) عبد الحميد، القدس، ص ١٣.

(٥) قسطندي، معجم، ص ٥٩.

(٦) يحيى، قصة، ص ٣٢. قسطنطين خمّار، موسوعة فلسطين الجغرافية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، سلسلة كتب فلسطين ١٦، بيروت، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، ص ٧٩.

(٧) قسطندي، معجم، ص ٥٣.

(٨) المرجع ذاته، ص ٥٧.

٤- جبل صهيون الواقع جنوب غرب جبال القدس الأربعة على ارتفاع ٧٧٠م[١].

وجبال خارجية أحاطت بالمدينة من جهات مختلفة كان أهمها[٢]:

- **جبل الزيتون:** ويدعى كذلك جبل الطور[٣]، وجبل القدس[٤]، وطور زيتا[٥]، ويقع شرقي القدس ويكشف المدينة بأسرها[٦].
- **جبل الرأس:** يقع إلى الغرب من قرية (بَتِّير)، عند درجة عرض ٤٤ ٣١° وخط طول ٥ ٣٥° بحيث يبلغ ارتفاعه ٧٢٢م[٧].
- **جبل المشارف:** جبل يتصل بجبل الزيتون في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة[٨].
- **جبل السنّاسين:** يقع إلى الجنوب الغربي من قرية وادي فوكين[٩]، عند خط عرض ٢١ ٣١° وخط طول ١٣ ٣٥° ويرتفع ٧٣٥م[١٠].
- **جبل المُكبّر:** يقع جنوب القدس مباشرة، ويشرف عليها وعلى قراها القريبة[١١]، يفصل بينه وبين جبل صهيون وادي الربابة[١٢].
- **جبل المنظار:** يقع جنوبي شرقي المدينة، عند خط عرض ٤٤ ٣١°، وخط طول ٢٠

---

(١) عبد الحميد، القدس، ص ١٣.

(٢) ذكرت جبال كثيرة لدى الجغرافيين اقتصرنا هنا على ذكر أهم الجبال فقط.

(٣) ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٥٨.

(٤) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٦١.

(٥) ياقوت، معجم، ج٤، ص ٤٨.

(٦) قسطنطين، موسوعة، ص ٨٩.

(٧) عبد الحميد، القدس، ص ١٣.

(٨) فاروق محمد عز الدين، القدس تاريخياً وجغرافياً، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٤٦.

(٩) وادي فوكين: قرية تقع إلى الغرب من بيت لحم، الدباغ، بلادنا، ج٨، ق٢، ص ٤٨٧.

(١٠) عبد الحميد، القدس، ص ١٤.

(١١) قسطنطين، موسوعة، ص ١٠٠.

(١٢) فاروق، القدس، ص ٤٦.

٣٥ °، على ارتفاع ٥٢٤م[١].

• **جبل النبي صموئيل:** يقع شمال غربي القدس، إلى الغرب مباشرة من قرية (بيت حنينا)[٢]، وإلى الشمال من قرية (بيت اكسا)[٣]

ولهذه الجبال جميعها أهمية بالغة يمكن إجمالها بالتالي:

١-اعتبرت الجبال من مدة طويلة أنسب الأراضي للعمليات الدفاعية والمقاومة كونها تحرم المهاجِم ميزة التفوق في الأفراد والمعدات، كما تحدد حجم القوات والأسلحة المستخدمة، إضافة إلى أنها تعطي الفرصة لقوة صغيرة ثابتة متحصنة في أماكن قوية من صدِّ قوات تفوقها عدداً وعتاداً[٤].

٢- تعد الجبال جسراً مهماً للأغراض التجارية على طول سلسلة الجبال، من خلال الأودية التي تقطعها سواء باتجاه الشرق أو الغرب.

٣- تشكل الجبال جزءاً من شبكة تصريف مائي في فلسطين، وتمثل خط تقسيم المياه المتجهة غرباً إلى البحر المتوسط، والمتجهة شرقاً نحو البحر الميت ونهر الأردن، كما أنها تفصل بين الأراضي الزراعية في الغرب والأراضي الرعوية في الشرق.

٤- تعتبر هذه الجبال مصدراً هاماً لحجارة البناء، وبالذات لمدينة القدس[٥].

---

(١) عبد الحميد، القدس، ص ١٤ - ١٥.

(٢) بيت حنينا: قرية تبعد ٨٠٠٠م شمال القدس، أقرب قرية لها شعفاط، الدباغ، بلادنا، ج٨، ق٢، ص ٨٨.

(٣) بيت اكسا: قرية تقع في الشمال الغربي من القدس، أقرب قرية لها بيت حنينا، الدباغ، بلادنا، ج٨، ق٢، ص ١٠٤.

قسطنطين، موسوعة، ص ١٠١.

(٤) الشاعر، جغرافية، ص ٣٧.

(5) Schaefer, Jerusalem, p. 74.

ب- السهول:

ذكرنا سابقاً أن مدينة القدس مدينة جبلية، تقع ضمن المرتفعات الوسطى، لكنها في الوقت نفسه تضم بعض السهول المحدودة كسهل الساهرة[١] الواقع قرب طور زيتا من جهة الغرب، وظاهر مدينة القدس من جهة الشمال[٢]، يتميز السهل بالانبساط وعدم التضرّس إلا في مناطق معينة كالمنطقة القريبة من باب الساهرة، والتي يظهر فيها العمق العرضي والحفر، مما يجعلنا نعتقد أن سبب ذلك أخذ مواد البناء من تلك البقعة لتقوية الدفاع عن الجانب الشمالي للمدينة، نظراً لقلة انحدار الأرض في تلك المنطقة[٣]، ولم يكن الساهرة السهل الوحيد في مدينة القدس، بل كان هناك سهل آخر هو البقعة، موقعه ظاهر القدس الشريف من جهة الغرب إلى جهة القبلة[٤].

٤- الأرض والمياه

- أ - الأرض:

يطغى على التكوينات الصخرية لمنطقة القدس الكلس والدولومايت[٥]، ويتخلل طبقاتها تكوينات الطباشير والمارل[٦] المقاومة لعمليات التعرية[٧]، كما تتميز الصخور تلك بسهولة التعامل معها، مما يفسر وجود المحاجر والمصاطب الصخرية التي تم

---

(١) ناصر خسرو علوي (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م)، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، ط١، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م، ص ٢٠.

(٢) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٦٢ - ٦٣.

(3) Schaefer, Jerusalem, p. 80.

(٤) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٥٩.

(٥) الدولومايت: معدن بلوري شبه شفاف يتألف من كربونات الكالسيوم وكربونات المغنيسيوم. ويطلق المصطلح كذلك على الصخور التي تتألف في معظمها من هذا المعدن. يوسف توني، معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ص ٢٣٠.

(٦) المارل أو المارن: من الصخور الطينية المؤلفة من الطين أو الصلصال مع الجير أو كربونات الكالسيوم، المرجع ذاته، ص ٤٣٥.

(٧) يحيى، قصة، ص ٣٨.

بواسطتها قطع كميات هائلة من الحجارة لأجل أغراض البناء عبر القرون الماضية(١).
ويبدو أن هذه السمات لا تقل شأناً عن سمة تخزين مياه الأمطار التي عملت الصخور على الاحتفاظ بها من خلال طبقاتها الكلسية ذات المسامية العالية، التي تسمح للمياه بالنفاذ من خلالها، حتى تصل إلى طبقة من الصخور تمنع تخلل المياه داخلها، ونظراً لسمك الصخور الكلسية(٢)، فقد صعب حفر الآبار فيها(٣)، مما جعل المدينة تعتمد بالدرجة الأولى على الأمطار، وعلى مصادر أخرى.

ب-المياه:

اعتمدت مدينة القدس على مصادر مختلفة لتزويدها بالمياه هي:

• الأمطار:

كانت الأمطار المصدر الأساسي الذي اعتمدت عليه المدينة في الحصول على المياه نظراً لانعدام الماء الجاري فيها(٤)، وسقوط الأمطار يتم في فصل الشتاء بمعدل يصل حوالي ٦٣٥ملم(٥) خلال فترة تنحصر من ٤ – ٥ أشهر في السنة(٦).

وبعد أن تسقط الأمطار يتم صرفها بواسطة أحواض تقع فوق مستوى المدينة تلتقي جميعها في أودية تحيط بالمنطقة، وتلتقي مع بعضها تحت زاويتها الجنوبية الشرقية باتجاه البحر الميت(٧).

(1) Schaefer, Jerusalem, p. 98.
(2) Ibid, p. 103.
(٣) يقول ابن شدّاد "وأرض القدس لا يطمع في حفر بئر بها فيها ماء معين، لأنها جبل عظيم وحجر صلب. النوادر، ص ٢١٥. أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ١٩٨.
(٤) أنظر حديث المؤرخين عن ذلك، ناصر خسرو، سفر نامة، ص ٢٠.
ياقوت، معجم، ج٥، ص ١٦٨. ابن السباهي زاده، محمد بن علي (ت ٩٩٧هـ / ١٥٨٨م)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، ميكروفيلم مصور في الجامعة الأردنية رقم ٥٥٩، ورقة ٦٢.
(5) Smith, historical Geography, p. 77.
(6) Schaefer, Jerusalem, p.100.
(7) Smith, historical Geography, p. 79.

كذلك يستفاد من مياه الأمطار عن طريق الصخور الكلسية التي سبق أن تحدثنا عنها، والتي تعمل على امتصاص الأمطار من خلال طبقاتها ذات النفاذية العالية، أو عن طريق التخزين الذي يتم فور سقوط الأمطار على سقوف المنازل المبلطة بالحجارة وباحات البيوت والشوارع(١).

• **عين سِلْوَان:**

تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية لسور الحرم على بعد ٣٠٠م(٢)، ورد ذكرها في المصادر الجغرافية بشكل مقتضب لا يدل على أصلها أو عمقها، بل يشير إلى مائها وإلى قدرتها على شفاء الأمراض(٣). أما في المراجع الحديثة، فيبدو الاهتمام واضحاً بجوانب أخرى أغفلتها المصادر، تم الوصول إليها عن طريق الحفريات الأثرية التي أجراها العلماء في المنطقة، أثبتت أن مياه العين جُلبت عبر نفق أو قناة من نبع ستنا مريم الواقع على السطح الغربي للوادي ضمن صخور الحافة الشرقية بحدود ٣٥٣ ياردة (٣٢٢,٧٨٢٨٤م) أسفل الزاوية الجنوبية الشرقية لمنطقة الصخرة المشرقة(٤).

• **بركة سلوان:**

تسمى كذلك بالبركة الحمراء أو البركة التحتانية، تقع جنوب شرق عين سلوان بأبعاد ١٥٠ × ١١٠ قدم، أي بمساحة ١٥٣٢،٩٠٠١م٢، ويقتصر عملها على تخزين المياه السطحية للواد وتجميع المياه الزائدة من نبع ستنا مريم، ومن ثم استخدامها في ري البساتين الواقعة إلى الجنوب منها(٥).

---

(١) ناصر خسرو، سفر نامة، ص ٢٠.
(٢) كامل العسلي، من آثارنا في بيت المقدس، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٩٩.
(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٧١، ناصر خسرو، سفر نامة، ص ٢١. ياقوت،معجم، ج٥، ص ١٦٨.
(4) Smith, historical Geography, p. 87.
(5) Smith, historical Geography, p. 98.

• **بئر أيوب:**[(١)]

تقع في أسفل وادي سلوان على بعد حوالي ٤٠٠م من بركة سلوان[(٢)]، وهي بئر كبيرة يصل عمقها ٣٨م، يستفاد من مياهها النقية المصفاة عبر الطبقات الصخرية طوال السنة وبشكل كبير في فصل الشتاء[(٣)].

• **بركة بني إسرائيل:**

تقع شمال سور الحرم بين باب الأسباط وباب حُطة، وتتخذ شكل خندق مستطيل محفور بالصخر على هيئة بركة[(٤)] تصل أبعادها (١١٠ × ٣٨م)[(٥)]، في حين يصل عمقها (١٢،٢٠م)[(٦)].

كانت البركة كما أظهرت الحفريات تتكون من قاعين؛ أحدهما تم بناؤه بالحجارة الصغيرة الصلبة، بينما بنى الآخر بالأسمنت القوي، ولعل هذا الإجراء هُدف منه حفظ الماء اللازم وتخزينه في البركة مدة طويلة.[(٧)]

• **بركة البطريرك:**[(٨)]

تقع في حارة النصارى بين كنيسة القيامة وباب الخليل[(٩)]، ويبلغ طولها ٨٠ ياردة (٧٣،١٥١٩٢م) وعرضها ٤٨ ياردة (٤٣،٨٩١١٥٢م) وعمقها ١٠ أقدام (٣،٠٤٨م).

كانت مياه البركة تأتي من المطر، ثم تصرف من المنطقة المحيطة بها ومن بركة

---

(١) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٥٨. اللقيمي، موانح، ورقة ٤٨.
(٢) كامل العسلي، من آثارنا، ص ١٠٣.
(3) Smith, historical Geography, p. 98.
(٤) كامل العسلي، من آثارنا، ص ١٢٠، ١٢٤.
(5) Smith, historical Geography, p. 117
(٦) كامل العسلي، من آثارنا ص ١٢٤.
(7) Smith, historical Geography, p. 117
(٨) سجل ٩٥، شريط ٥٠٧، ص ٤٢٦.
(٩) انظر موقعها على الخارطة المرفقة في هذا البحث شكل (٣).

ماملا الواقعة خارج السور، حيث وجدت هناك مياه تصل ما بين البركتين وتدخل القدس من تحت السور شمالي باب الخليل[١].

• **بركة أرض البركة:**

ذكرت هذه البركة بوثيقة تعود لسنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م باسم (Lecuslegerii)[٢] حدد موقعها شمالاً قرب باب العامود، خارج السور[٣].

• **بركة ماملا[٤]:**

تقع وسط مقبرة ماملا، على بعد حوالي ميل (١،٦٠٩٣٤كم) من باب الخليل إلى جهة الغرب، حيث يصل طولها نحو ٨٩م، وعرضها ٥٩م وعمقها ٦م.

ويبدو أن معظم بناء البركة محفور في الصخور وجدرانها وقعرها مكلسة بالحجر والطين[٥]، مما يوفر أرضية نظيفة للماء المجتمع من المطر المرسل بعد ذلك بواسطة قناة تسير نحو الجنوب الشرقي من خلال بوابة يافا، إلى بركة البطريرك[٦].

• **بركة السلطان:**

تقع وسط وادي الربابة[٧] مقابل جبل صهيون إلى جهة الغرب باتجاه الزاوية الجنوبية الغربية لسور القدس، وعلى بعد حوالي ١٠٠م من السور.

تعد البركة أكبر برك القدس؛ إذ يبلغ طولها ١٧٠م وعرضها ٨٠م ومساحتها ١٤،٠٠٠م٢ تقريباً، يتم بواسطتها تزويد المدينة بالمياه النقية التي تأتي من المطر ثم

---

(١) كامل العسلي، من آثارنا، ص ١٢٩.

(2) Smith, historical Geography, p. 116.

(٣) كامل العسلي، من آثارنا، ص ١٣٢.

(٤) سجل ٩٥، شريط ٥٠٧، ص ٤٢٦.

(٥) كامل العسلي، من آثارنا، ص ١٣٢.

(6) Smith, historical Geography, p. 114.

(7) Ibid, p. 113.

تتجمع ببركة صغيرة، تقع في الجهة الشمالية من بركة السلطان، ويتم من خلالها تصفية المياه وتنقيتها وبالتالي إرسالها إلى البركة الكبيرة -بركة السلطان-[1].

• **الآبار والصهاريج**

وجدت الآبار بكثرة في مدينة القدس، وكان أكبرها آبار الحرم الشريف، التي تحدث عنها ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، بشكل مفصل قائلاً:

"وقد حفرت في أرض المسجد أحواض وصهاريج كثيرة، فإن المسجد مشيّد كله على صخرة، فمهما يهطل من المطر لا يذهب خارج الأحواض ولا يضيع سدى، بل يتصرف إلى الأحواض وينتفع الناس به، وهناك ميازيب من الرصاص ينزل منها الماء إلى أحواض حجرية تحتها، وقد ثقبت هذه الأحواض ليخرج منها الماء ويصب في الصهاريج، بواسطة قنوات بينها، غير ملوث أو عفن".

ويضيف: "والأحواض التي بالمسجد لا تحتاج إلى عمارة أبداً، لأنها من الحجر الصلب، فإذا حدث بها شقّ أو ثقب أحكم إصلاحه حتى لا تخرب... وقد جعل القسم الأعلى منها على هيئة التنور وعلى رأس كل حوض غطاء من حجر حتى لا يسقط فيه شيء"[2].

• **الخزانات المنزلية**

دلت الاكتشافات الحديثة على وجود العديد من الخزانات المنزلية المختلفة، استطاع العلماء تمييز أربعة أنواع منها بنيت على عدة أشكال، الشكل الأول يشبه الزجاجة، وصف بأنه جسم عريض في صخر (ملكي) مع ضيق في الرقبة في الصخور الصلبة العليا (مزة)، والنوع الآخر مؤلف من كهوف صخرية غير منتظمة الشكل مع سقف

---

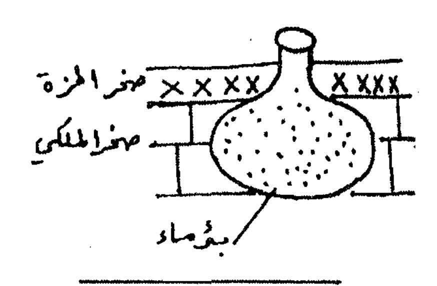
(١) كامل العسلي، من آثارنا، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) ناصر خسرو، سفر نامة، ص ٢٥ - ٢٦.

طبيعي محفور بحفرة من عمل السكان.

أما النوع الثالث، فهو حوض ضحل في الصخر مسقوف ببناء من صنع السكان، وآخر الأنواع مبني على شكل عريش يشبه نظام الوردة التي تتفرع أجزاؤها لتلتقي مع أجزاء وردة أخرى مكونة مع بعضها أقواساً تعمل على تشكيل سقف البئر أو الخزان[1].

شكل ١



شكل ٤



٥- المناخ:

يعد مناخ مدينة القدس من النوع المتوسطي الجبلي؛ إذ ترتفع معدلات الأمطار السنوية والرطوبة في مدينة القدس، بسبب ارتفاعها عما يجاورها من المناطق الأرضية مثل سفوح الحضيض الغربية التي تنحدر باتجاه الساحل الفلسطيني، وأراضي البرية الواقعة في ظل المطر، والتي تنحدر باتجاه غور الأردن. كذلك يقل معدل المطر السنوي في القدس عن معدلات الأمطار السنوية في جبال الجليل، نظراً لموقع الجليل في شمالي فلسطين وزيادة ارتفاعها عن مستوى البحر[2].

تتفاوت درجة الحرارة في المدينة خلال السنة. وبشكل عام، تسير وفق نمط عام فوق الإقليم، فالمناخ في فصل الصيف حار وجاف وفي الشتاء بارد رطب، وآب هو أشد

(1) Smith, historical Geography, p. 120 – 121.

(٢) يحيى، قصة، ص ٤١ - ٤٢.

الأشهر حرارة، وكانون الثاني أشد الأشهر برودة؛ إذ تتراوح الحرارة في كانون ثاني بشكل عام ما بين ٨ - ١٠ ° م، وخلال شهر آب تتراوح ما بين ٢٠ - ٢٦ °م، وتهبط درجة الحرارة بصورة مفاجئة خلال شهر تشرين الثاني بعد هبوط تدريجي من أواخر الصيف. وتحمي سلسلة جبل الزيتون المدينة من وصول التيارات الهوائية الباردة القادمة من الشمال والشمال الغربي[١].

والمناخ بشكل عام معتدل، مما يسمح بنمو مختلف النباتات الطبيعية التي تعد نموذجاً لأحراج البحر المتوسط، بأشجارها دائمة الخضرة كالبلوط وغيره من الأشجار الحرجية[٢]، كما تُزرع الأشجار المثمرة كالزيتون[٣] والعنب[٤] والتين والتفاح[٥].

(1) Schaefer, Jerusalem, p. 101.

(٢) يحيى، قصة، ص ٤٦.

(٣) محفوظات، شريط ٣٤٢، ص ٥.

(٤) سجل ٩٥، شريط ٥٠٧، ص ٤٢٧.

(٥) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٥٩.

٦- خلاصة:

مما سبق نلحظ أن مدينة القدس واقعة على سلسلة جبال ذات سفوح أو حواف تميل إلى الغرب وإلى الشرق، يفصل بينهما واد، إضافة إلى الأودية الثلاث التي تحيط المدينة، والتي تشكل خطوطاً دفاعية طبيعية جعلت اقتحام القدس أمراً صعباً إلا من الجهتين الشمالية والشمالية الغربية.

تتميز السفوح الشرقية لجبال القدس بالوعورة والجفاف بينما تختلف الصورة على السفوح الغربية، حيث تكون الأمطار أغزر والحرارة أكثر اعتدالاً والانحدارات ألطف، وفروق الارتفاع بين السفوح والسهل الساحلي أقل، وقد ساعدت هذه الأمور على تجمع السكان على السفوح الغربية أكثر من تجمّعهم على السفوح الشرقية.

وكما أثّر موقع القدس في سكان مدينة القدس، فقد كان للأمطار أثر آخر لا يقل شأناً عن الموقع، وذلك لأن الأمطار مصدر أساسي اعتمد عليه السكان في التزود بالمياه، لكن هذا المصدر كان متذبذباً، ولا يمكن الركون إلى ثباته، مما جعل سكان المدينة يفكرون باستغلال مياه المطر والاستفادة منها عن طريق الخزانات المنزلية والآبار والصهاريج، أو الاستعانة بمصادر أخرى تسد احتياجاتهم من المياه كاستخدام البرك والعيون.

ولكن بالرّغم من محاولات السكان تعويض نقص المياه، فإن المشكلة بقيت قائمة، الأمر الذي جعل السكان يبتعدون عن امتهان حرفة الزراعة، ويكتفون بوجود الأشجار الحرجية وزراعة الزيتون والعنب التي يتلاءم نموها مع المناخ الجبلي المعتمد على الأمطار القليلة.

وقد كان من المتوقع أن الابتعاد عن الزراعة، قد أوجد مِهَناً أخرى عُدَّت بديلاً عنها، كالعمل على استخراج الزيوت من الزيتون، واستخراج المعادن وبالأخص معدن النحاس، واللجوء إلى الاستفادة من حجارة الجبال في تشييد المباني والمنشآت.

الفصل الثاني

تاريخ مدينة القدس منذ سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م إلى سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م

١-صلاح الدين وتخليص مدينة القدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م.

٢-مدينة القدس بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي.

٣-خلاصة.



صلاح الدين وتخليص مدينة القدس سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م

• مقدمة

اتجهت جموع الصليبيين صوب مدينة القدس متخذة الطريق الرئيسي الذي يصل من الساحل إليها، والذي يمر في الرملة وعمواس[١] وبيت لحم[٢]، وتم وصولهم المدينة في أوائل حزيران عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م، وعزموا على حصار القدس، فاتجهوا إلى تركيز القوات نحو الأسوار[٣] وقاموا بمحاصرة المدينة من الجهة الغربية والجنوبية، وتركز القسم الأكبر من قوات الصليبيين في الجهة الأولى، بينما ركّز قسم آخر الحصار على الجهة الثانية المقابلة لباب داود والبرج، حيث كانت الحامية الفاطمية[٤]، ووجد أمراء القسم الأكبر من الحملة أن طبوغرافية الجهة الغربية لا تساعد على قيادة حصار فعّال، فانتقلوا جميعهم إلى الجهة الشمالية للأسوار الممتدة من باب العمود (دمشق) حتى برج اللقلق، الذي يقع في الزاوية الشمالية الشرقية المشرفة على وادي جهنم،

---

(١) عمواس: قرية غرب مدينة القدس، شمال قرية اللطرون في قضاء رام الله. قسطندي، معجم ص ١٤٧.

(٢) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسلي، ط١، دار الشروق، عمان ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٦٩ - ٧٠. ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية ج١، ترجمة: السيد الباز العريني، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م، ص ٣٩١.

(٣) رنسيمان، تاريخ، ج١، ص ٣٩٥.

(٤) كانت مدينة القدس وقت احتلال الصليبيين تتبع الخلافة الفاطمية، ابن شداد، أبو عبد الله عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي، ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. تاريخ لبنان والأردن وفلسطين، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م، ص ٢٠١.

وأقاموا معسكرهم في السيل الممتد أمام باب الساهره حيث تساعد الطبيعة الجغرافية للمنطقة على سهولة الحركة، واستعمال آلات الحصار الكبيرة[١] كالمنجنيقات والكباش[٢] وغيرها من الآلات[٣].

أطلق الصليبيون المنجنيقات على الأسوار، غير أن هذا الأسلوب لم يحقق فعالية في إحداث فجوات في الأسوار وخاصة السور الشمالي الذي دافع عنه سكان مدينة القدس من الرجال والنساء، مستخدمين الأكياس الكبيرة المملوءة بالقش وغيرها من المواد، وقاموا بتعليقها إضافة إلى تعليق السجاجيد والأخشاب الطويلة والفرش المحشوة بالحرير لإضعاف فاعلية حجارة المنجنيقات على الأسوار[٤]. وبعد فشل المنجنيقات لجأ الصليبيون إلى بناء الأبراج الخشبية[٥] التي استطاعوا بواسطتها تسلق الأسوار الشمالية، ودخول المدينة، وملاحقة الهاربين وقتل الرجال والنساء والأطفال الموجودين في الشوارع والأزقة،[٦] أو الموجودين في ساحة الحرم الشريف، والذين قدر عددهم بحوالي عشرة آلاف شخص[٧]، ولم يسلم من هذه المذبحة سوى الحامية الفاطمية المتمركزة في برج داود، والتي يقودها والي القدس الفاطمي افتخار الدولة، حيث سلم الأخير للصليبيين برج داود مقابل السماح له ولحاميته بمغادرة المدينة بأمان وحماية إلى عسقلان[٨].

(1) Mustafa Ahiyari، Crusader Jerusalem، Jerusalem in history، Edited: Kamel Asali، England، 1409/ 1989 p. 137.

(٢) الكباش: هي مقدمة الدبابة، مصنوعة من حديد تشبه الكبش، تستخدم لهدم الأسوار – انظر ابن شداد، النوادر، ص ١٤١.

(٣) فوشيه، تاريخ، ص ٧٣، مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م، ص ١١٥، ١١٨.

(4) Rolond finucans، soldiers of the faith، J.M. Dent and sons، ltd. London and Melbonme، 1403 L 1983.

(٥) فوشيه، تاريخ، ص ٧٣. رنسيمان، تاريخ، ص ٣٩٨.

(٦) فوشيه، تاريخ، ص ٧٤.

(٧) المصدر ذاته، ص ٧٥.

(٨) فوشيه، تاريخ، ص ٧٧. رنسيمان، تاريخ، ص ٤٠٣.

وغدت مدينة القدس بعد احتلال الصليبيين لها عاصمة لمملكة بيت المقدس التي امتدت حدودها -فيما بعد- من "سمت مصر من العريش، وعلى صوب الحجاز، من الكرك والشوبك، ويشتمل على البلاد الساحلية إلى منتهى أعمال بيروت"، إضافة إلى صور[1].

اعتنى الصليبيون بعاصمة مملكتهم، فأضافوا إليها بعض التحصينات المتعلقة بالأسوار كبناء برج تنكرد، نسبة إلى أحد الأمراء الذين شاركوا في الحملة الأولى، في الزاوية الجنوبية الغربية من الأسوار، في ذلك الجانب من حي البطريرك -حارة النصارى- وتحصينات المنطقة المعروفة آنذاك باسم القديسة مريم المجدلية، في الزاوية الشمالية الشرقية من الأسوار، قرب المنطقة التي دخل الفرنج منها إلى المدينة[2].

بقي احتلال الصليبيين لمدينة القدس قرابة ثمان وثمانين سنة، ظهرت خلالها محاولات أولية في توحيد جهود المسلمين ضد الصليبيين، ابتدأت في عهد عماد الدين زنكي (ت ٥٤١هـ / ١١٤٦م)[3]، ثم في عهد ابنه نور الدين محمود (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م) الذي كانت تشكل غاراته خطراً كبيراً على الفرنج[4]، لا سيما على مملكة بيت المقدس؛ إذ كان يقوم بغارات سريعة في بلادها، ويرسل قواده فيتوغلون في الجليل حتى بلاد الرملة وعسقلان، ويبعث بجماعات من خيّالة التركمان السريعة التي تخترق

---

(١) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٦٣٧. ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٢٧٥.

(2) Hiyari, Crusader. Jerusalem, p. 141.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٩٨، وما بعدها. ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج ابن (أهرون ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م). تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص ٢٠٦ ابن قاضي شهبه، بدر الدين ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م. الكواكب الدرية في السيرة النورية، ط١، تحقيق: محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، ص ٩٧.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج١، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، وزارة المعارف المصرية، إدارة الثقافة العامة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م، ص ١٢١. الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، العبر في خبر من غبر، ج٤، تحقيق: صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، سلسلة التراث العربي (١٠) دائرة المطبوعات والنشر الكويت، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م، ص ٢٠٧ وما بعدها.

البلاد من الشمال إلى الجنوب، ويتخذ معسكرات متنقلة داخل أراضي المملكة نفسها، كلما طاردها جند الصليبيين في ناحية انتقلت إلى ناحية أخرى.

ويبدو أن هذا الأسلوب كان بديلاً لدى زنكي من الهجوم العام، الذي حرص على عدم اللجوء إليه خوفاً من مجيء حملة صليبية جديدة لم يتهيأ لمواجهتها[١].

استمر نور الدين في اتباع هذا الأسلوب مؤخراً أمر تحرير القدس إلى أن يجد الفرصة المناسبة التي يرى وقتها زيادة في قوة جيشه، وضعف الصليبيين، لكن الأجل وافاه، قبل أن يحرر القدس، فانتقلت هذه المهمة إلى صلاح الدين الأيوبي متولي أمر مصر آنذاك (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) الذي أسرع بالتوجه إلى الشام فور سماعه نبأ وفاة سيده نور الدين، هادفاً من هذه الحركة جمع كلمة المسلمين وتوحيد جهودهم[٢] وعدم إتاحة الفرصة للفرنج بالتوجه إلى الشام[٣].

وقد كان تحقيق الهدف الأول هيناً بسبب تفرق الفرنج واختلافهم فيما بينهم[٤]، بينما كان الهدف الآخر يتطلب استعداداً حربياً متكاملاً. وكانت الشام وقتها تعاني من الجدب،[٥] مما جعل صلاح الدين يلجأ إلى أسلوب المهادنة، ويقبل العرض الذي قدمه بلدوين الرابع[٦] ملك بيت المقدس، سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م، بعقد هدنة اشترط فيها

---

(١) حسين مؤنس، نور الدين محمود، سيرة مجاهد صادق، ط٢، الدار السعودية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٢٨٠.

(٢) أبو شامه، الروضتين، ج١، ق٢، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، محمد مصطفى زياده المؤسسة المصرية، القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، ص ٦٠٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٤٠٨.

(٤) رنسيمان، تاريخ، ج٢، ترجمة: السيد الباز العريني، ط١، دار الثقافة، بيروت، لبنان ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ٥٤١، ٥٥١.

(٥) أبو شامه، الروضتين، ج١، ق٢، ص ٦٤٣، ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٣٥، رنسيمان تاريخ، ج٢، ص ٦٧٩.

(٦) بلدوين الرابع: ملك بيت المقدس، تولى المملكة وعمره ١٣ سنة فتولى الوصاية عليه ريموند كونت طرابلس حتى بلغ سن الرشد، واستمر ملكاً إلى أن توفي وعمره ٢٤ سنة، سنة (٥٨١هـ / ١١٨٥م) رنسيمان، تاريخ، ج٢، ص ٦٥١، ٦٦٢، ٧١٧.

السلطان ضمان حرية التنقل والتجارة بين مصر والشام[1]، كما عقدت هدنة أخرى مع الملك المذكور سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م، كان من أهم شروطها ضمان حرية التجارة والتنقل في بلاد الكرك، لوقوع الأخيرة على طريق القوافل التجارية المارة من الشام إلى مصر أو من مصر إلى الشام[2] أو طريق الحاج إلى الحجاز.

وكانت الكرك وقتها، من أهم بارونيات مملكة القدس من الناحية العسكرية والاقتصادية، فهي خط الدفاع الأول للمملكة، والحارس القوي المنيع الذي يحميها من ناحية جناحها الشرقي والجنوبي، كما كانت الكرك من الناحية الاقتصادية أكبر بارونية يرد منها عائد اقتصادي لمملكة القدس بما تتحصل من رسوم على القوافل التجارية المارة عبر أراضيها، وبما تفرضه من الضرائب على محاصيلها الوافرة بالغلاّت[3].

وبالرغم من العائدات الاقتصادية التي كانت تحصلها بارونية الكرك، فإن ذلك لم يقف حائلاً ضد أطماع أميرها المغامر الفرنسي أرناط[4]، الذي كان يتصدى للقوافل التجارية أو قوافل الحجاج الآمنة فينهب ما شاء منها، ومن ذلك أنه في سنة (٥٧٧هـ / ١١٨١م) اندفع وراء قافلة تجارية كانت تسير من دمشق إلى مكة، وتمكن من الظفر بها عند تيماء[5]، فغنم أموال القافلة ودواب الرجال وسلاحهم وأودع السجن من أسره منهم، فبعث إليه صلاح الدين يلومه ويتهدده ويأمره بإطلاق الأسرى والأموال، فلم يستجب أرناط وأصر على موقفه[6]، فأرسل صلاح الدين إلى بلدوين الرابع ملك بيت المقدس يطلب منه أسرى المسلمين، والتعويض عما سلبه أرناط، لكن الملك لم يستطع

---

(١) يوسف حسن درويش غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، بلدية الكرك، الأردن ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ١١٨.

(٢) غوانمه، إمارة، ص ١٢٢.

(٣) المرجع ذاته ، ص ١١٧.

(٤) أنظر عنه: ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٥٢٧.

(٥) تيماء: بليد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى، على طريق حاج الشام ودمشق، ياقوت، معجم ج٢، ص ٦٧.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٥٢٨. ابن شداد، النوادر، ص ٣٣. أبو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م، المختصر في أخبار البشر، م٢، دار الكتاب اللبناني — بيروت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ص ٩٥.

شيئاً، لضعف مركزه أمام أرناط، وهكذا اعتبر صلاح الدين الهدنة لاغية[١]، واستعد لمحاربة الفرنج، فجهز العساكر المصرية والشامية واتجه بهم نحو حطين، وجرت معركة فاصلة بين الصليبيين والمسلمين، انتهت بانتصار المسلمين، وذلك في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م[٢].

وعقب هذه المعركة الحاسمة سار صلاح الدين لتحرير مدن الساحل، هادفاً من ذلك منع أي مدد يأتي عن طريق الخارج أو عن طريق مدن الشام، لإنقاذ القدس في حال وقوعها في أيدي المسلمين، فابتدأ بفتح عكا ثم تبعه فتح المدن الساحلية الأخرى، من جبيل وحد طرابلس إلى الداروم باستثناء صور[٣] التي كان احتلالها يستدعي الوقت الطويل، نظراً لقوتها ومناعتها.

وبعد أن تم فتح مدن الساحل، سارع صلاح الدين إلى القدس، تدفعه الأهمية الدينية للمدينة المقدسة، والموقع الاستراتيجي لها على طريق مصر يقطع بينها وبين الشام[٤]، إضافة إلى أنها تشكل خطراً كونها عاصمة مملكة الفرنج[٥]، وأكثر المدن حصانة[٦].

وصل صلاح الدين إلى القدس يوم الأحد (١٥ رجب ٥٨٣هـ / ٢٠ أيلول ١١٨٧)[٧] فنزل بالجانب الغربي، وكان في غاية التحصين[٨]، فانتقل مع القسم الأكبر من الجيش

---

(١) غوانمه، إمارة، ص ١٢٦.

(٢) أبو شامه، الروضتين، ج٢، ص ٧٧ – ٧٨، سبط ابن الجوزي، مرآة/ ج٨، ق١، ط١، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م، ص ٣٩٣.

(٣) العماد، الفتح، ص ١٩٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٥٤٥.

(٥) الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، ص ١٩.

(٦) رنسيمان، تاريخ، ج١، ص ٣٩٣.

(٧) العماد، الفتح، ص ١٢٤، ابن شداد، النوادر، ص ٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص ٣٩٧، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٩٤، ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٢١٢.

(٨) ابن شداد، النوادر، ص ٨١. ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م)، زبدة الطلب في تاريخ حلب، ج٣، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية،

إلى الجهة الشمالية من السور[١] التي ربما كانت أضعف جهات المدينة تحصيناً، بينما قاد الملك العادل شقيق السلطان بقية القوات إلى جبل صهيون لمحاصرتها من تلك الجهة[٢]، وبدأت قوات صلاح الدين الموجودة في الجهة الشمالية بنصب المنجنيقات، ومن ثم التقدم نحو الخندق المجاور للسور، وإعمال الحفر في الصخر الواقع تحت السور، الذي أثبت فعالية في إسقاط الجانب الشرقي الشمالي منه[٣]، وفور سقوط هذا الجزء، تقدمت مجموعة من جند صلاح الدين، ونصبت رايته الصفراء أعلى السور في هذه المنطقة، لكن المدافعين عن ذلك المكان تجمعوا من جديد، وأجبروا الذين يحملون الراية على الانسحاب[٤]، ووجد البطريرك الفرنجي وباليان ابلين صاحب نابلس -الأمير الذي تمكن من الإفلات من حطين ولجأ إلى المدينة- اللذان كانا يقودان المدافعين الفرنج عن المدينة أنهما لا يستطيعان الاستمرار بالقتال؛ إذ لا مجال لوصول إمدادات من أي مكان تساعد في تخفيف الحصار أو مشاغلة قوات صلاح الدين، فطلب التفاوض مع صلاح الدين لتسليم المدينة مقابل شروط مناسبة للطرفين[٥]، فامتنع السلطان من إجابته بالأمان، وأصر على استخدام القوة في الدخول إلى المدينة[٦].

وعند ذلك لجأ باليان إلى أسلوب التهديد، واعداً السلطان بقتل أبناء ونساء الفرنج لتجنب أسرهم، وكذلك بقتل أسرى المسلمين، وحرق الأقصى وغيرها من الأماكن الإسلامية المقدسة[٧]، ولا ندري حقيقة تهديد باليان وصحته، لكنه آتى ثماره حينما

دمشق، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م، ص ٩٨.

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ط٣. بيروت، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٣٢٣.

(٢) العماد، الفتح، ص ١٤٥.

(٣) ابن شدّاد، النوادر، ص ٨١، ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٢١٣. أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٩٢، ابن كثير، البداية، ج١٢، ص ٣٢٣. ابن خلدون، تاريخ، م٥، ق٢، ص ٣٠٩.

(4) Ahiyari, Crusader Jerusalem, p. 166.

(٥) رنسيمان، تاريخ، ج٢، ص ٧٤٠، ٧٤٨.

(٦) العماد، الفتح، ص ١٢٦، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٩٥. ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٥٤٨. البنداري، قوام الدين الفتح بن علي، ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م، سنا البرق الشامي تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ٣١١.

(٧) العماد، الفتح، ص ١٢٦ – ١٢٧، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٩٥، ابن كثير، البداية ج١٢، ص ٣٢٣.

استجاب السلطان لقبول الأمان بشروط نصّت على خروج الفرنج مع أموالهم وأبنائهم باستثناء الخيل والعدة الحربية والسلاح[١] بعدما يؤدى الرجل عشرة دنانير يتساوى فيها الغني والفقير، والمرأة خمسة دنانير[٢]، والأطفال من الذكور والإناث ديناراً واحداً[٣] في مدة زمنية مقدارها أربعون يوماً، إذا انقضت ولم يؤد كل واحد ما عليه صار مملوكاً، فبذل باليان عن الفقراء ثلاثين ألف دينار[٤].

أما النصارى المحليون، فقد اشترط السلطان على من أراد الإقامة في المدينة، أن يدفع الجزية إضافة إلى ما تم فرضه في الاتفاقية المبرمة في عهد الأمان[٥].

وتم تسليم المدينة يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣هـ / ١٢ تشرين الأول ١١٨٧م[٦]، لتبدأ القدس بعد هذا التاريخ مرحلة جديدة في ظل بني أيوب.

• مدينة القدس بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي

كان السلطان صلاح الدين الأيوبي قبل وفاته، قد عهد بدمشق لابنه الأفضل نور الدين علي وهو أكبر أولاده، وبمصر لابنه العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان الذي تولى أتابكيّة الملك العادل شقيق السلطان، نظراً لصغر سنه[٧].

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق١، ص ٣٩٧، ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٣٤٢.

(٢) العماد، الفتح، ص ١٢٧، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٩٥.

(٣) ابن شداد، النوادر، ص ٨٢، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٩٢.

(٤) العماد، الفتح، ص ١٢٧. البنداري، سنا، ص ٣١١.

(٥) العماد، الفتح، ص ١٣٦، البنداري، سنا، ص ٣١٦، سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق١، ص ٣٩٧، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ١١٥.

(٦) العماد، الفتح، ص ١٢٨، ابن شداد، النوادر، ص ٨٢، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٩٥، ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٢١٥.

(٧) العماد، الفتح، ص ٦٢٩ – ٦٣٠، سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق١، ص ٣٨٨، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م، ص ١٠٣، ٢٦٢.

وحين توفي السلطان صلاح الدين الأيوبي، بقي تقسيم البلاد بين أولاده قائماً على ما هو عليه، وكانت القدس وأعمالها، تابعة للملك الأفضل[1]، الذي أرسل إلى أخيه العزيز مفوضاً إليه أمرها بعد ان أشار عليه وزيره ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) بذلك موضحاً له ما تحتاجه القدس من رجال وأموال كثيرة لمدافعة الفرنج[2].

ثم بدا للأفضل الرجوع عما قرره، بعد ما قدم له ولاة القدس اقتراحاً يجنبه بذل شيء من ماله والاقتصار على ثلث نابلس وعملها، وهو من جملة الوقف الذي خصصه السلطان صلاح الدين الأيوبي على عمارة القدس ومصالحه[3]، ويبدو أن هذا الاقتراح نابع من خوف ولاة القدس من محاسبة العزيز لهم بعدما مدوا أيديهم إلى وقف القدس، وخانوا بذلك الملك الأفضل الذي سكت عنهم ولم يتخذ أي إجراء ضدهم[4].

وبالرغم من استجابة الأفضل لرأي الولاة، إلا أن رجوعه عن تسليم القدس لأخيه العزيز قد أدى إلى تغيّر الأخير، وخروجه إلى الشام، بتحريض من الأمراء الصلاحية الأتراك، الذين كانوا نواة الجيش المصري المعتمد عليه في الحروب زمن صلاح الدين الأيوبي[5].

كما كان هؤلاء الأمراء بمثابة الدرع الذي يتقوّى به السلطان على خصومه، وقد كان لدى الأفضل جماعة كثيرة من أمراء الصلاحية[6]، تم إبعادهم بمشورة الوزير

---

(١) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٢٢٨، ابن واصل، مفرج، ج٣، دار القلم، القاهرة، ص ١٤.

(٢) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٢٢٨، ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ١٥.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ١٥.

(٤) المصدر ذاته.

(٥) أنشأ صلاح الدين حرساً من العساكر عرفوا بالأمراء الصلاحية، بعد وفاة أسد الدين شيركوه وتوليه أمر مصر، وكان هؤلاء الأمراء من الفرسان الأكراد التابعين لشيركوه، الذين ظلوا في خدمة صلاح الدين مقابل الإقطاعات التي كان يوزعها السلطان عليهم. هاملتون جب دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: إحسان عباس، محمد يوسف نجم، محمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت ومؤسسة فرنكلين –بيروت–نيويورك–تحرير: ستانفورد شو، وليم بولك، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م، ص ٩٨.

(٦) من هؤلاء الأمراء: فخر الدين جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي (ت ٦٠٨هـ / ١٢١١م)، انظر عنه أبو شامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين دار الجيل

ضياء بن الأثير، فلجأ هؤلاء إلى الملك العزيز في مصر، فحسَّنوا إليه الاستبداد بالملك والتوجّه نحو دمشق، لا سيما بعد استيلاء الفرنج على ثغر جبيل[1] في سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٣م، وعجز الأفضل عن استرداده[2] فخرج العزيز قاصداً دمشق، وتم وصوله إليها، فخاف الأفضل منه، واستنجد بعمه الملك العادل وهو على حرّان والرّها[3] كما كاتب بقية الملوك الأيوبيين، الذين عقدوا الصلح مع العزيز على أن يكون له بيت المقدس، وما يجاوره من أعمال فلسطين، بينما تبقى دمشق وطبرية وأعمالها والغور للأفضل[4].

ولم يسلم الأفضل بعد الصلح، من أخيه العزيز، الذي سارع بالاتجاه مرة أخرى نحو دمشق سنة (٥٩١هـ / ١١٩٤م) محققاً بذلك رغبة المماليك الصلاحية بمصر، الذين خاطبوه بقولهم: "إن الأكراد والمماليك الأسدية[5] من عسكر مصر يريدون أخاك، ونخاف أن يميلوا إليه ويخرجوك من البلاد، والمصلحة أن نأخذ دمشق"[6].

وصل الملك العزيز قرب دمشق، فأرسل الأفضل إلى عمه الملك العادل الموجود في قلعة

—بيروت، ط١، ط٢، ١٣٧٥هـ / ١٩٤٧م، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ٧٩. والأمير: فارس الدين ميمون القصرى (ت ٦١٠هـ / ١٢١٣م). انظر ترجمته: أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص ١١٥، الذهبي تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ميكروفيلم، شريط رقم ٣٠١، ورقة ٢٠٩. والأمير شمس الدين سنقر (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٧م). انظر ترجمته: ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٧٦، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص ١٢٢، ابن الوردى، زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر، (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، تتمة المختصر في أخبار البشر، ج٢، جمعية المعارف القاهرة، ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م، ص ١١٣. ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)، تاريخ ابن الفرات، م٤، ج٢، نشر حسن محمد الشماع، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م، ص ١٣٨.

(١) جبيل: بلد في سواحل دمشق، يبعد عن بيروت ٤٨كم (٤٨٠٠٠م) ياقوت، معجم، ج٢، ص ١٠٩.

(٢) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٢٢٨، ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٢٦.

(٣) حران، مدينة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، وعلى طريق الموصل والشام والروم ياقوت، معجم، ج٢، ص ٢٣٥، الرها: مدينة بالجزيرة الفراتية بين الموصل والشام. المصدر ذاته ص ١٠٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ١١٠، ابن خلدون، تاريخ، م٥، ق١، ص ٧٢٠.

(٥) المماليك الأسدية: هم مماليك أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين الأيوبي كان عددهم في أيام نور الدين خمسمائة فارس كردي، يتقدمهم سيف الدين أيازكوج (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ١١٩، المقريزى، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة والفاطميين، ج٣، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، ص ٣٠٨، جب، دراسات، ص ٩٧ — ٩٨

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ١١٨.

جعبر[1]، ليساعده في محاربة أخيه، فسار العادل إلى دمشق وكاتب الأمراء الأسدية من أصحاب العزيز يحثّهم على تركه، والانحياز للأفضل، فترك الأمراء الأسدية ومقدمهم أبو الهيجاء السمين[2]، العزيزَ وانضافوا لعسكر الأفضل، وكان سبب ترك هؤلاء للعزيز، أن الأخير لما ملك مصر قرّب المماليك الصلاحية وقدمهم، ولم يلتفت إلى المماليك الأسدية والأكراد، فغضبوا من ذلك ومالوا للأفضل والعادل، اللذين اتجها صوب مصر بعدما أرسل إليهما برحيل العزيز[3].

وتم وصول العادل والأفضل مع المتخلفين من الأسدية إلى بلبيس[4] وأثناء مقام الأسدية في بلبيس اقتربت زيادة النيل من الانتهاء، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار، وقلة المؤونة، ومن ثم ندم الأسدية[5] على مساندة العادل والأفضل، فخاف العادل من مكرهم ومفارقتهم له، فأرسل إلى القاضي الفاضل بالحضور، فخرج القاضي إليه واجتمعا وأصلحا الأمور، فعفا العزيز عن الأسدية، وتوجه الأفضل إلى دمشق[6]، وبقي العادل مع العزيز في مصر لأنَّ الأسدية والأكراد لا يريدون العزيز، فيجتمعون مع العادل في كل أمر يتخذه، ويُفقِدون بذلك قدرة العزيز على معارضة عمه[7]. وحينما كان العادل بمصر، جاءه قايماز النجمي أحد كبار المماليك الصلاحية (ت ٥٩٦هـ

---

(١) جعبر: قلعة على الفرات بين بالس والرقة، قرب صفين، ياقوت، معجم، ج٢، ص ١٤٢.

(٢) أبو الهيجاء السمين من أكابر الأمراء الأسدية، (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٧م)، أبو شامة، الذيل، ص ١٤، ابن كثير، البداية، ج١٣، ص ١٥. وانظر عن ولايته القدس، الفصل الإداري من هذا البحث، ص ٨٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ١١٩.

(٤) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر ٦٠كم (٦٠٠٠٠م)، على طريق الشام، ياقوت معجم، ج١، ص ٤٧٩.

(٥) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٢٣٠، ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٥٢.

(٦) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٢٣٠، ابن العميد، جرجس بن أبي الياس بن أبي المكارم (ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م)، مختصر تاريخ الطبرى، تاريخ ابن العميد، صور من مكتبة بودليان – اكسفورد رقم ١٦١، مجموعة لود، شريط رقم ٥٤٠، ورقة ٢٠٨ / ٣٠٧، ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٥٣، ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١١.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ١٢٠.

/ ١١٩٩م)[١] وجماعة من المماليك يشكون من الأفضل وتحكّم وزيره ضياء الدين بن الأثير في دولته[٢]، فبعث العادل إلى ابن أخيه في دمشق، يأمره بكف يد الوزير عن أمور السياسة، فلم يستجب الأفضل لذلك[٣] فاستمال العادلُ الملكَ العزيزَ واتفق معه بالتوجه إلى دمشق، فدخلاها سنة (٥٩٢هـ / ١١٩٥م)، وأرسلا إلى الأفضل بتسليم قلعة دمشق، مقابل قلعة صرخد[٤]، فسلَّم الأفضل القلعة، وملك العزيز دمشق، واستناب عليها عمه العادل ورجع إلى مصر[٥]، واستمر بها سلطاناً حتى وافته المنية سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٨م)، وكان الغالب على أمره فخر الدين جهاركس، فأرسل من يخبر العادل وهو على حصار ماردين[٦] بذلك ويستدعيه ليملك البلاد، غير أن الأسدية ومقدمهم الأمير سيف الدين يازكوج،[٧] رغبوا في تولية الأفضل أمر مصر، فاجتمع فخر الدين مع سيف الدين، وأشار الأول بتولي المنصور بن العزيز أمر مصر، فأجيب من قبل سيف الدين: "أنه صغير"، ثم استقر الرأي على قيام الأفضل بأتابكية المنصور[٨]، وكوتب من قبل الأمراء بالحضور، فسار من صرخد، واقترب في مسيره من القدس، فلقيه فارسان منها، وأخبراه أن مَن بالقدس قد ساروا في طاعته، لكن الأفضل جعل وجهته الأولى مصر ثم القدس[٩]. وتبدو سياسته واضحة في ذلك، حيث أراد إحكام السيطرة في مركز السلطنة الأيوبية (مصر)، التي متى تملَّكها سَهُلَ عليه تَملُّك غيرها.

ولم يعجب مقدم الصلاحية فخر الدين جهاركس ما فعله الأمراء من مكاتبة الأفضل،

---

(١) انظر ترجمته: أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٢٣٩، ابن كثير، البداية ج١٣، ص ٢٣.

(٢) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٢٣٠.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق١، ص ٤٤١.

(٤) صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة وولاية واسعة حسنة ياقوت، معجم، ج٣، ص ٤٠١.

(٥) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٢٣١. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٦٨.

(٦) ماردين: من بلاد الجزيرة (العراق) مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين، ياقوت معجم، ج٥، ص ٣٩.

(٧) سيف الدين يازكوج: مقدم الأمراء الأسدية في مصر، توفي سنة (٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)، أبو شامة، الذيل، ص ٣٤.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ١٤١. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٨٨ – ٨٩.

(٩) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ١٤١. ابن خلدون، تاريخ، م٥، ق٤، ص ٧٤٠.

فأرسل إلى فارس الدين ميمون القصري صاحب نابلس يبين له الحال، ويأمره بعدم إطاعة الأفضل، لكن ذلك لم يجد نفعاً، كون رسول فخر الدين قبض عليه أثناء مسير الأخير إلى مصر[١] فلجأ فخر الدين إلى بعض الأمراء الصلاحية بمصر أمثال زين قراجا[٢]، وأسد الدين سراسنقر[٣] واتفقوا جميعهم على مفارقة الأفضل، وساروا إلى القدس وضموا إليهم شجاع الدين طغرل السلحدار[٤].

وحينما وصلوا القدس، أقنعوا واليه ختلج العزّي[٥] بالانضمام إليهم، فتبعهم وجماعة من الأمراء، كالأمير عز الدين أسامة[٦] وميمون القصري.

ولما أمن الصلاحية في القدس، أرسلوا إلى العادل ليقوم بأتابكية المنصور، فأجابهم العادل بعدم مفارقة مكانهم لحين فراغه من ماردين[٧]. ولم يكن العادل يعلم وقتها بتحركات الأفضل الذي سارع بعد سيطرته على مصر، بالتوجه نحو دمشق، مستغلاً بذلك خلوّها من عساكر العادل الموجودين في ماردين. وكانت الصلاحية قد وصلهم خبر الأفضل، فبعثوا إلى العادل يحثونه على القدوم ويخبرونه بقصد الأفضل[٨].

فسار العادل نحو دمشق بعدما أناب على ماردين ابنه الكامل محمد، وأرسل إلى الصلاحية المقيمين في القدس يأمرهم بالقدوم[٩]، فبعث الأفضل الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص ليقطع الطريق على الصلاحية

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٩١.

(٢) زين الدين قراجا: من الأمراء الصلاحية، صاحب صرخد توفي ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م، أبو شامة، الذيل ص ٦٢.

(٣) أسد الدين سراسنقر: لم أجد ترجمة له.

(٤) شجاع الدين طغرل السلحدار: لم أجد ترجمة له.

(٥) انظر عن ولايته مدينة القدس - الفصل الإداري من هذا البحث ص ٩٠.

(٦) عز الدين أسامة: كان والياً على بيروت زمن صلاح الدين الأيوبي، العماد، الفتح، ص ٤١٧، ٦١٦.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٩٢.

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٩٥. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص ١١٣ — ١١٤.

(٩) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ١٤٤. ابن خلدون، تاريخ، م٥، ق٤، ص ٧٣٢. ابن الساعي الخازن، أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين (ت ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م)، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، ج٩، نشر: مصطفى جواد، المطبعة السريانية، بغداد، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م، ص ٤.

فيمنعهم بذلك من الوصول إلى دمشق، غير أن الصلاحية ساروا من غير الطريق التي سار منها صاحب حمص، فدخلوا دمشق، فسُرَّ بهم العادل[١].

واشتد الحصار على دمشق، وزاد الغلاء وقلّت الأقوات، فأشار الأمراء الصلاحية بالاستعانة بالكامل محمد ولد العادل، فأجابهم الأخير لطلبهم، وحضر الكامل من ماردين[٢]، فأيقن العادل والأمراء الصلاحية بالنصر، وأصاب الوهن الأفضل، فاتجه نحو مصر مرجئاً حصار دمشق، وسار خلفه العادل، ونزل قريباً من مصر، فعرض على الأفضل الصلح على أن يتنازل عن مصر والشام ويُعوَّض عنهما ببعض المناطق، فوافق الأفضل، وجرى الصلح سنة (٥٩٦هـ / ١١٩٩م)[٣].

وتم للعادل بعد ذلك ملك مصر والشام، فاستناب على دمشق ابنه المعظم شرف الدين عيسى[٤]، وكانت القدس تابعة لملكه، فعزم الفرنج على قصدها والاستيلاء عليها في سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م، وأرسوا بعكا، فخرج الملك العادل من دمشق ونزل بالقرب من الطور[٥] ليردهم عن هدفهم[٦]، وبقي الأمر على حالة سنة كاملة، ثم بعدها عقد الصلح بين العادل والفرنج، وعاد العادل إلى مصر[٧].

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٩٩.

(٢) المصدر ذاته، ص ١٠٥، ابن نظيف الحموى، أبو الفضائل محمد بن علي (ت بعد ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق: أبو العبد دودو، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ١٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ١٥٥ – ١٥٦. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ١٠٨ – ١١٠. ابن كثير البداية، ج ١٣، ص ٢٢.

(٤) ابن نظيف الحموى، التاريخ المنصوري، ص ٢٤ – ٢٥، ابن العميد، مختصر، ورقة ٢١٠ / ٣٠٩.

(٥) الطور: قلعة عظيمة قريبة من عكا، ابن لقلق، كيرلس الثالث (٦١٣ - ٦١٤هـ / ١٢١٦ - ١٢٤٣م) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، م٤، ج١، نشر: أنطون خاطر وأزولد بورمستر، القاهرة، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ١٩.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ١٩٤. أبو الفداء، المختصر، م٢، ص ١٣٦.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ١٥٩، ابن قايماز التركماني الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، دول الإسلام، ج٢، ط٢، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م، ص ٨٠، ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص ١٢٢ ابن الفرات، تاريخ، م٥، ج١، تحقيق: حسن محمد الشماع، دار الطباعة الحديثة، بصرة – العراق، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص ١٣.

واستمرت الهدنة معقودة حتى سنة (٦١٤هـ / ١٢١٧م) حيث فارق الفرنج عكا، فخرج قبالتهم الملك العادل، واتجه من مصر بالعساكر الشامية، ونزل على تل بيسان[١] ومن ثم انتقل إلى عجلون[٢]، بينما أقام الفرنج على عين جالوت[٣].

أما المعظم ملك دمشق، فقد عسكر على عقبة اللبَّن بين القدس ونابلس خوفاً من محاولة الفرنج الهجوم على القدس التابعة لملكه[٤].

وتابع الفرنج مسيرهم حتى الطور، ثم رجعوا إلى عكا، وعزموا على أخذ مصر لخلوّها من العساكر، وحينما سمع المعظم بذلك عاد إلى الشام، ومنها سار إلى مصر، فبلغه أنَّ مجموعة من الفرنج اجتمعت على قصد القدس[٥] فاتفق مع الأمراء على تخريبه سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م، وأرسل إلى أخيه الملك العزيز[٦] وعز الدين أيبك استادار اللذين كانا في القدس يأمرهما بخرابه، فتوقفا، وكتبا للملك المعظم بتكفّلهما بحفظه، فأتاهما أمر مؤكد من المعظم بخرابه، فبدأوا في أول محرم بخراب الأسوار ودوره وفنادقه، عدا برج داود ومسجد الصخرة وجامع الأقصى وكنيسة القيامة[٧].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ١٩٥.

بيسان: مدينة بين حوران وفلسطين، ياقوت، معجم، ج١، ص ٥٢٧.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق٢، ص ٥٨٣.

(٣) عين جالوت: بليدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين، ياقوت، معجم، ج٤، ص ١٧٧.

(٤) المصدر ذاته، ابن كثير، البداية، ج١٣، ص ٧٦.

(٥) أبو شامة، الذيل، ص ١١٥.

(٦) الملك العزيز: عثمان بن العادل شقيق الملك العادل لأبيه وأمه، كان صاحب بانياس وسمى وهونين والحصون، توفي سنة (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق٢، ص ٦٧٨ ابن كثير، البداية، ج١٣، ص ١٣٧.

(٧) عز الدين أيبك: استاذ دار الملك المعظم، استنابه الأخير على صرخد، ثم أخذها منه الصالح أيوب وعوضه عنها، فأقام بدمشق إلى أن وشى به بأنه يكاتب الصالح إسماعيل، فاحتيط عليه وعلى أمواله، فمرض ثم مات سنة (٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)، وقيل سنة (٦٤٧هـ / ١٢٤٩م).

سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق٢، ص ٧٧٢،

ابن كثير، البداية، ج١٣، ص ١٧٤.

ابن لقلق، تاريخ، ص ٢٩

ويظهر أن تخريب المدن لأهداف، كان معروفاً قبل ذلك، فقد أمر السلطان صلاح الدين الأيوبي بخراب عسقلان سنة (٥٨٧هـ / ١١٩١م) ليحول بذلك دون توجه الفرنج إليها[١]، وللسبب ذاته، قام المعظم بخراب القدس، إضافة إلى رغبته في حرمان الفرنج من الانتفاع من القدس، مما سيساعد في تعجيل رحيلهم عنه، كذلك فإن الخراب سيجبر سكان المدينة المعارضين لتركها على مغادرتها دون أن يصابوا بأذى.

وبخراب مدينة القدس، تم خروج كثير من السكان منها[٢]، ويصف سبط ابن الجوزي -وهو معاصر للأحداث- ما سببه الخراب بقوله: "...ووقع في البلد ضجَّة مثل يوم القيامة، وخرج النساء المخدَّرات والبنات والشيوخ والعجائز والشباب والصبيان إلى الصخرة والأقصى، فقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم، بحيث امتلأت الصخرة ومحراب الأقصى من الشعور، وخرجوا هاربين وتركوا أموالهم وأهاليهم وما شكّوا أن الفرنج تصبِّحهم، وامتلأت بهم الطرقات، فبعضهم إلى مصر، وبعضهم إلى الكرك، وبعضهم إلى دمشق، والبنات المخدَّرات يمزقن ثيابهن ويربطنها على أرجلهن من الحفا، ومات خلق كثير من الجوع والعطش، وكانت نوبة لم تكن في الإسلام، ونهبت الأموال التي كانت لهم في القدس"[٣].

وبعد ثماني سنوات من هذا الحدث، سار المعظم من دمشق إلى القدس، فأقدم على خراب قلاعه وعدة صهاريج له، لما بلغه قصد الفرنج[٤].

وفي العام نفسه (٦٢٤هـ / ١٢٢٧م) كتب الملك الكامل إلى الإمبراطور فردريك الثاني صاحب صقلية بأن يحضر إلى الشام والساحل ويعطيه البيت المقدس وجميع

---

(١) العماد، الفتح، ص ٥٥٠، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ١٨٩.

(٢) أبو شامة، الذيل، ص ١١٥. ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٣٢.

ابن التركماني، دول، ج٢، ص ٨٩. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص ١٣٧. ابن الفرات، تاريخ م٥، ج١، ص ٨٩

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق٢، ص ٦٠١ — ٦٠٢.

(٤) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق١، ط١، تحقيق: محمد مصطفى زيادة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م ص٢٢٣.

فتوح صلاح الدين بالساحل[١]، بغية قتال أخيه الملك المعظم عيسى، الذي استنجد بملك خوارزم جلال الدين، بعدما ظهر التنافر بين الأخوين[٢].

وكان رد الإمبراطور فردريك الثاني صاحب صقلية رداً لطيفاً؛ إذ بعث رسولاً للملك الكامل بهدية حسنة، وتحف غريبة، ولقي الرسول حفاوة على يدي الكامل فأقيمت له الزينات وأُنزل في دار الوزير، ولما رحل جهز الكامل له هدية ليقدمها للإمبراطور فردريك[٣].

وبقيت الأمور على ما هي عليه بين الملك الكامل والإمبراطور حتى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م، حينما بعث فردريك وهو بعكا رسوله إلى الملك الكامل، يذكره بما تم التفاوض عليه قبل سنتين[٤]، فتلكأ الكامل في إجابته، لأن الخطر الذي كاتبه لأجله وهو خلافه مع الملك المعظم[٥]، كان قد زال بموت الأخير سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م فتمت مباحثات بين الطرفين انتهت بتسليم القدس للإمبراطور، "على أن تبقى خراباً ولا يُجدِّد سورها، ولا يكون للفرنج شيء من قراها خارج السور بل تكون كلها للمسلمين، ويتولى أمورها والٍ مسلم مقامه بالبيرة شمال القدس، ويظل الحرم وما حوله من الصخرة والمسجد الأقصى بأيدي المسلمين يتولاه قوّام منهم، ولا يدخله الفرنج إلا للزيارة"، وحددت المعاهدة للفرنج عدداً من القرى تبلغ عشراً بين القدس وعكا حتى يكون طريقهم آمناً، ونصَّت كذلك على تبادل الأسرى، وعلى هدنة مدتها عشر سنوات[٦].

---

(١) ابن العميد، تاريخ، ص ١٣٦، مجلة المعهد العلمي بدمشق، ج٧ × سنة ١٣٧٥ – ١٣٧٧هـ / ١٩٥٥ – ١٩٥٧م، دمشق، سنة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م، ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٢٠٦، ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص ١٤٨.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٢٠٦، ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص ١٤٨.

(٣) ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص ١٤٩ "بالهامش".

(٤) نقولا زيادة، لمحات من تاريخ العرب، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني – بيروت، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ص ٨١.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٢٣٤ – ٢٣٥، زيادة، لمحات، ص ٨١.

(٦) ابن العميد، أخبار، ص ١٣٧، ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٢٤١ – ٢٤٢. ابن الوردي، تاريخ ج٢، ص ٥٠. المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص ٢٣٠ – ٢٣١.

وبالرغم من أن المعاهدة منعت إعادة بناء القدس، إلا أن الإمبراطور وضَّح في رسالة بعث بها إلى ملك إنجلترا يخبره بسماح المسلمين لهم بإعادة بناء المدينة، كما كانت من قبل[1].

ولعل هذا الأمر يبرز الضعف البين في المعاهدة، وهذا ما أكده "فان كليف" في تعليقه عليها بقوله:

"كان الضعف البيّن في المعاهدة أنها تفتقر إلى تزكية عامة بين الشعبين اللذين عقدت باسمهما، إذ لم تكن معاهدة بين دولتين وإنما بين رجلين كل منهما قادر على إبداء التسامح إزاء خصمه، دون أن يشاركهما أتباعهما في ذلك"[2].

ويظهر أنه كان لكل من الطرفين؛ الكامل والإمبراطور، هدف من وراء هذه المعاهدة، فقد أراد الكامل إيجاد حليف له يتقوى به على خصومه من الأسرة الأيوبية، وكان يدرك أن التنازل عن القدس للغاية نفسها سيعفيه من مسؤوليته، كما كان يعلم أن المعاهدة ترتيب مؤقت[3] قصد من ورائه إرضاء الإمبراطور والوفاء بالوعد الذي تم سنة (٦٢٤هـ / ١٢٢٦م)[4].

أما من جهة الإمبراطور فردريك، فإن الاستيلاء على القدس يعيد له المكانة التي فقدها لدى البابا، والتي انتهت بحرمانه من القيام بحملة صليبية، كان فردريك قد وعد بها البابا حينما تُوِّج إمبراطوراً، غير أن حروبه ومشاغله حالت دون ذلك، وبعد فترة، عزم على الوفاء بوعده، ولكن البابا وقتها نفد صبره فحرم فردريك ومنعه من هذا الأمر[5]، وقد أشار فردريك صراحة لهذا حينما قال: "لولا أني أخاف انكسار

(1) Thomas Curtis Van Cleve, The Emperor Fredrick II, Oxford, 1972 / 1392, p. 220.
(2) Ibid, p. 220.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٢٤٣.
(٤) انظر ص ٦٢، من هذا الفصل.
(٥) زيادة، لمحات، ص ٨٠ -٨١. محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، حملة جان دى برين على مصر ٦١٥ – ٦١٨هـ / ١٢١٨ – ١٢٢١م، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. ص ٣٥٣ – ٣٥٥.

جاهي عند الفرنج لما كلفت السلطان شيئاً من ذلك، ومالي غرض في القدس ولا غيره، وإنما قصدت حفظ ناموسي عندهم"[1].

وبعد عقد الهدنة، أمر الملك الكامل بخروج المسلمين من القدس، وتسليمه إلى الفرنج، فعم الضجيج والبكاء، وحزن المسلمون على خروج مدينتهم من أيديهم[2]، وأنكروا على الملك الكامل فعله، فلجأ الأخير إلى تسويغ ما عمله قائلاً: "إنّا لم نسمح لهم إلا بكنائس وأدر خراب، والحرم وما فيه من الصخرة المقدسة وسائر المزارات بأيدي المسلمين على حاله، وشعار الإسلام قائم على ما كان عليه، ووالي المسلمين متحكم على رساتيقه وأعماله"[3].

وكان أشد الناس حنقاً على ما فعله الكامل ابن أخيه الملك الناصر داود بن الملك المعظم صاحب دمشق[4]، حيث أمر الشيخ شمس الدين يوسف سبط الشيخ جمال الدين ابن الجوزي الواعظ[5]، أن يجلس بجامع دمشق، ويذكر فضائل القدس، ويُحزّن الناس، ويبين لهم ما فعله الكامل وما نتج عن ذلك من خنوع، وعار للمسلمين[6]، وكان قصده من هذا تنفير الناس من عمه بعدما هدّده بأخذ دمشق منه ليعاضدوه في قتاله[7].

وفي أثناء مقام الملك الناصر داود في دمشق، وصل الملك الكامل والملوك الأيوبيون لحصارها، وضيّقوا الخناق عليها، ونفد ما في يد الملك الناصر من مال، فأرسل إلى

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٢٤٣، المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص ٢٣٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ٢٨٣، ابن كثير، البداية، ج١٣، ص ١٢٤. ابن تغري بردي، النجوم، ج٦، ص ٢٧٢

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٢٤٣ — ٢٤٤، المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص ٢٣٠.

(٤) الملك الناصر داود بن الملك المعظم تولى أمر دمشق بعد وفاة والده سنة (٦٢٤هـ / ١٢٢٦م) ابن العميد، أخبار، ص ١٣٧، ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٢٢٤، ابن العبري، تاريخ ص ٢٤٣ — ٢٤٤.

(٥) هو صاحب كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان.

(٦) سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق٢، ص ٦٥٤، ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٢٤٥.

(٧) المصدر ذاته، الداوداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، (ت بعد ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م)، كنز الدرر وجامع الغرر، الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، ج٧، تحقيق: سعيد عاشور القاهرة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ص ٢٩٥.

الكامل يطلب الصلح، فتم الاتفاق على أن يكون للملك الناصر الكرك وأعمالها، والصلت والبلقاء والأغوار جميعها ونابلس، وأعمال القدس وبيت جبريل، مقابل تسليم دمشق للملك الكامل، الذي أعطاها بدوره للملك الأشرف موسى بن العادل[١].

ثم ما لبث الكامل أن سيطر على دمشق بعد وفاة الملك الأشرف (٦٣٥هـ / ١٢٣٧م)، واستمر مالكاً لها مدة وجيزة، حيث اشتد عليه المرض، وسارع في موته[٢].

وبوفاته غدا الملك الجواد بن مودود[٣] حاكماً لدمشق، ونائباً عن ابن عمه الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن الملك الكامل سلطان مصر فيها[٤]، أما الملك الناصر داود، فقد توجه من الكرك واستولى على غزة والسواحل التي كانت بيد الملك، فأثار ذلك الملكَ الجواد، وسارع في خروجه من دمشق لملاقاة الناصر في "ظهر حمار" بين نابلس وجنين، وانتهى اللقاء بهزيمة الناصر وسيطرة الجواد على خزائنه، ومن ثم متابعة السير نحو نابلس وتعيين الولاة عليها وعلى أعمال القدس والأغوار[٥].

وبعد سنة من تملُّك الجواد دمشق (٦٣٦هـ / ١٢٣٨م)، سلّمت المدينة للملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب سنجار[٦]، على أن يتعهد الأخير بمساعدة الملك الجواد في

---

(١) ابن العميد، أخبار، ص ١٣٨، ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٢٥٦ — ٢٥٧.

(٢) ابن العميد، أخبار، ص ١٤٣، ١٤٤، ابن واصل، مفرج، ج٥، تحقيق: حسنين محمد ربيع دار الكتب مصر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ١٣٧/ ١٥٢، ١٥٥.

الداوادار المصري، بيبرس ركن الدين المنصوري (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، م١، شريط مصور من جامعة بيل رقم ٧٥٨ مجموعة لاندبيرج، ورقة ١٨، شريط رقم ٢٠.

(٣) الملك الجواد بن مودود: مظفر الدين يونس بن السلطان العادل، نشأ في خدمة عمه الكامل، ثم فارقه وتوجه إلى عمه المعظم، ثم عاد إلى مصر وبعد ذلك تملك دمشق، توفي سنة (٦٤١هـ / ١٢٤٣م)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف، محي هلال السرحان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج٢٣، ص ١٨٤ — ١٨٥.

(٤) ابن العميد، أخبار، ص ١٤٥، ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ١٧١.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ١٧٥، ١٩٢ — ١٩٣.

(٦) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة (الفراتية) قريبة من الموصل، ياقوت، معجم، ج٣، ص ٢٦٢.

صد الملك العادل حال هجومه على دمشق، ويأخذ الملك الجواد مقابلها سنجار والرقة[١] وعانة[٢].

وبتسلُّم الملك الصالح دمشق، رأى جماعة الأمراء المصريين المصلحة في تملُّكه مصر أيضاً، فأرسلوا إليه للقيام بهذه المهمة، فسار من دمشق وأقام بنابلس، ينتظر الوقت المناسب لقصد مصر[٣]. وفي أثناء ذلك، قام الملك الصالح بتعيين ولاته على نابلس وأعمال القدس والأغوار والخليل وبيت جبريل والساحل وغيره إلى العريش[٤].

وطال انتظاره الملك الصالح، ففارقه معظم العساكر والأمراء، وانضم إليه الملك الناصر داود بعدما ساءت علاقته مع الملك العادل صاحب مصر، وسيَّر الصالح نجم الدين إلى الكرك ليلاً، مبرراً ذلك بخوفه على الصالح نجم الدين من الملك العادل[٥].

وفي خضم هذه الأحداث، لجأ الفرنج سنة (٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) إلى إعمار قلعة غربي القدس، جعلوا برج داود أحد أبراجها[٦]، وكان هذا نقضاً للمعاهدة التي عقدت سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) بين الملك الكامل والإمبراطور فردريك الثاني، بعدم تجديد عمارة القدس والإبقاء على خرابه، فتوجه الملك الناصر إلى القدس وضرب القلعة بالمجانيق حتى سلَّمت، فهدمها وهدم برج داود واستولى على القدس وطرد الفرنج منها[٧]، وكان لهذا الفتح صدى لدى الشعراء، فشُبِّه بفتح صلاح الدين للقدس سنة (٥٨٧هـ /

---

(١) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات قريبة من حران، ياقوت، معجم، ج٣، ص ٥٩.

(٢) عانة: بلد بين الرقة وهيت، من أعمال الجزيرة، تشرف على الفرات، المصدر ذاته، ج٤، ص ٧٢. ابن واصل: مفرج، ج٥، ص ٢٠٠ – ٢٠٥، ابن كثير، البداية، ج١٣، ص ١٥٢.

(٣) ابن العميد، أخبار، ص ١٤٦ – ١٤٧. ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ٢٠٦. العليمي، الأنس، ج٢، ص٦.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ٢١٥. الدوادار، زبدة، ورقة ٢٥.

(٥) ابن العميد، أخبار، ص ١٤٧، ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ٢٤١.

(٦) الدوادار، زبدة، ورقة ٢٧، المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، القاهرة، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م، ص ٢٩١.

(٧) ابن شداد، الأعلاق، تاريخ لبنان والأردن وفلسطين، ص ٢٢٥، ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ٢٤٧ أبو الفداء، المختصر، ج٦، ص ٦٧، ابن الوردي، تاريخ، ص ١٦٩.

١١٩١م) كما شُبِّه الناصر داود بالناصر صلاح الدين[١].

غير أن الصيت الحسن الذي ناله الناصر داود جراء طرده الفرنج من القدس، لم يدم إلا بضع سنوات، أعقبها اتفاقه مع الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق، على تسليم القدس للفرنج سنة (٦٤١هـ / ١٢٤٣م) بما فيه من المرارات[٢].

ولعل لجوء الناصر إلى تسليم القدس للفرنج، منبثق من خوفه من الخوارزمية[٣] الذين استعان بهم الملك نجم الدين أيوب بعدما تولى مصر[٤]، على محاربته والملك إسماعيل، وفي نظره أن الفرنج الذين خبرهم وعرفهم، سيكون باستطاعته طردهم أو كسب ودهم على النقيض من الخوارزمية.

وبعد تسلُّم الفرنج القدس، أقدم رهبانهم على تقديم قناني الخمر كقربان للصخرة المشرَّفة، وعُلِّق داخل المسجد الأقصى جرسٌ ليكون بديلاً عن الأذان والإقامة[٥].

وعاش الفرنج حينها فترة أشبه ما تكون بالفترة التي تلت احتلالهم للمدينة ذاتها سنة (٤٩٢هـ / ١٠٩٩م) لكن هذا لم يستمر طويلاً، حيث هجمت الخوارزمية على القدس عام (٦٤٢هـ / ١٢٤٤م) فهرب الفرنج منها، وبذلت الخوارزمية السيف في النصارى، وسبت الذراري والنساء، ودخلت إلى كنيسة القيامة فهدمت مقبرة المسيح عليه السلام، واعتدت على قبور النصارى وقبور ملوك الفرنج فيها وأحرقت عظام

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ٢٤٧، الدوادار، زبدة، ورقة ٢٧.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ٣٣٢. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص ١٧٣، المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص ٣١٥.

(٣) الخوارزمية: طائفة تنسب إلى ناحية خوارزم. بدأت تابعة للسلاجقة في فارس، ثم تخلصت من هذه التبعية، وأمضت عمرها محاربة تسعى لتوسيع متلكاتها، برز من حكامها جلال الدين منكبرتي الذي حارب المغول، غير أنه دحر على أيديهم، وهرب إلى الهند ثم عاد وأعاد ممتلكاته، وبعد حين قضى عليه من قبل المغول فتشتت جنوده، حتى استعان بهم الصالح نجم الدين أيوب. عرف عنهم ضيق العيش والقناعة بالشيء اليسير، انظر: ياقوت معجم، ج٢، ص ٣٩٥ – ٣٩٧، عفاف سيد صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ط١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٣٠١ – ٣٠٢.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ٣٣٢. الدواداري، كنز، ج٧، ص ٣٥٢.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ٣٣٣.

الموتى[1]، ثم اتجهت إلى غزة، وهناك التقى العسكر المصري بقيادة الملك الصالح نجم الدين أيوب، والعسكر الدمشقي، وقائداه الملك الصالح عماد الدين والملك الناصر داود، وانتهى الأمر بهزيمة الملك الصالح عماد الدين، الذي ما لبث أن تنازل عن دمشق لصالح نجم الدين أيوب بعد حصار طويل للمدينة.[2] كذلك هُزِمَ الملك الناصر داود، فاستخلص نواب الملك الصالح نجم الدين منه غزة والسواحل وبيت المقدس والخليل وبيت جبريل والأغوار،[3] وأبقوا معه الكرك والصلت والبلقاء[4].

وكانت الخوارزمية تعتقد أن الملك الصالح نجم الدين أيوب سيقاسمها ممتلكاته، لكن الملك الصالح خذلها، فاستعانت بالملك الناصر داود، الذي عاد واستولى على نابلس والقدس والخليل وبيت جبريل والأغوار، وأرسل ولاته إليها[5].

وانضم للخوارزمية الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، واتفقوا على استخلاص دمشق، فساروا إليها وحاصروها، ثم عدلوا عنها بعدما علموا بتوجُّه الملك المنصور إبراهيم[6] صاحب حمص، والملك الناصر بن العزيز صاحب حلب للقائهم[7].

وأخيرا تمت هزيمة الخوارزمية، ولجوء الملك عماد الدين إسماعيل إلى صاحب حلب سنة (٦٤٤هـ / ١٢٤٦م)، أما الملك الناصر داود –المقيم بالكرك– فلم تعدله قوة، بعد استيلاء الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ[8] والعساكر المصرية على بلاده

---

(١) ابن العميد، أخبار، ص ١٥٥، الدوادار، زبدة، ورقة ٣٤، الدواداري، كنز، ج٧، ص ٣٥٣.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ٣٤٨. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص ١٦٦.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ٣٤٠. ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص ١٧٤. المقريزي، السلوك ج١، ق٢، ص ٣١٨.

(٤) الدوادار، زبدة، ورقة ٣٥.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ٣٥٠. الدوادار، زبدة، ورقة ٣٦. المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص ٣٢٢.

(٦) الملك المنصور إبراهيم بن المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص توفي سنة (٦٤٤هـ / ١٢٤٦م) أنظر: أبو شامة، الذيل، ص ١٧٨.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ٣٥٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص ١٦٧.

(٨) الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ: أحد الأمراء الكبار المصريين، قتل غازياً مجاهداً سنة (٦٧٤هـ / ١٢٤٩م) على يد الفرنج، انظر، ابن العميد، أخبار، ص ١٥٩.

بما فيها مدينة القدس[١].

واستمرت القدس بيد المصريين، إلى أن تملَّكها الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز، بعد سيطرته على دمشق عام (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م)[٢].

وبقيت بيده سنة واحدة، اتفق بعدها على تسليمها وبعض المناطق، للملك المعز عز الدين أيبك التركماني[٣] صاحب مصر، بعدما قام الأخير بمحاصرة دمشق[٤].

(١) ابن شداد، الأعلاق، ص ٢٣٥، ابن العميد، أخبار، ص ١٥٧، ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ٣٦٣ — ٣٦٤

(٢) ابن شداد، الأعلاق، ص ٢٢٦، ابن العميد، أخبار، ص ١٦١.

(٣) الملك المعز عز الدين أيبك: تولى حكم مصر سنة (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) بعد وفاة الملك تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل، أبو شامة، الذيل، ص ١٨٥.

(٤) ابن العميد، أخبار، ص ١٦٤.

٣ - خلاصة:

نتبين مما سبق أن مدينة القدس ظلت قرابة ثمان وثمانين سنة عاصمة لمملكة صليبية امتدت حدودها "من سمت مصر من العريش، وعلى صوب الحجاز، من الكرك والشوبك بما في ذلك البلاد الساحلية إلى منتهى أعمال بيروت، إضافة إلى صور". وبعد الفتح الصلاحي وعقب وقعة حطين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، غدت المدينة ولاية صغيرة تابعة لحكم صلاح الدين الأيوبي، وبعد ست سنوات أي في عام ٥٨٩هـ / ١١٩٣م توفي السلطان صلاح الدين الأيوبي، فانقسمت دولته إلى عدة ممالك، وكانت الشام وفلسطين بما فيها القدس لابنه الأكبر علي الملقب بالملك الأفضل (ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م)، وفي عهده شهدت المدينة نشاطاً عمرانياً صرف عليه أموال كثيرة إلى حد جعل الأصفهاني يخاف على الأفضل من الإفلاس فيقول: "ونقص الأكياس حتى خلنا به.... الإفلاس" وعندما شعر الملك الأفضل بما يستوجبه الدفاع عن القدس من كلفة مادية وعسكرية لصدِّ الفرنج، عزم على التخلص منه وتسليمه لأخيه الملك العزيز صاحب مصر، إلا أنه تراجع عما قرره فأثار ذلك العزيز، وجعله يتوجه لقتال أخيه ومن ثم يحتل دمشق، ومنذ هذا التاريخ ٥٩٢هـ / ١١٩٥م أصبحت مدينة القدس تابعة لحكم العزيز وبقيت كذلك حتى وفاته سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م، وعندما توفي العزيز تولى الأمر ابنه الملك المنصور ناصر الدين محمد، وكان صغيراً لم يتجاوز سِنّه التسع سنين وبضعة شهور، فتقدم كلٌّ من الملك العادل شقيق صلاح الدين الأيوبي والملك الأفضل من أجل الوصاية على الصبي، واختلفا على ذلك ونشب القتال بينهما، وكان لمدينة القدس دور في ذلك، تمثل في مساندة عدد من الأمراء بالقدس للملك العادل، غير أن الأمور سارت في صالح الأفضل، فأعلن الأخير الوصاية على المنصور واستولى على مصر، وكان هذا مدعاة لانقسام البلاد قسمين: قسم بمصر يؤيد المنصور بوصاية الأفضل، وقسم بدمشق يؤيد المنصور بوصاية العادل، وشاركت القدس ممثلة بالمماليك الناصرية في الصراع، فقد ساعد هؤلاء الملك العادل في دخول دمشق وقت حصار الأفضل لها سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٨م)، وجعلوه يتخلى عن الحصار ويرجع إلى مصر، كما آزروا الملك العادل كذلك

في أثناء تخليصه مصر من الأفضل، ولما استتب الأمر للعادل بعد قطع خطبة المنصور وتغلبه على الأفضل قسم البلاد بين أولاده، وكانت الشام بما فيها القدس من نصيب الملك المعظم عيسى (ت ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م) في حين كانت مصر لابنه الملك الكامل، وفي عهد المعظم حدثت لمدينة القدس تطورات وأحداث أهمها تخريب أسوار ودور وفنادق المدينة سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م عدا برج داود ومسجد الصخرة وجامع الأقصى وكنيسة القيامة، وذلك خوفاً من توجه الفرنج للمدينة وبالتالي انتفاعهم منها، ولم يكن هذا هو الحدث الوحيد الذي أثّر في المدينة وفي السكان بشكل عام، فقد حدث حادث آخر لا يقل سوءاً عن الحدث الأول ألا وهو تسليم الملك الكامل صاحب مصر القدس للإمبراطور فردريك الثاني صاحب صقلية، بموجب صلح تمَّ إبرامه بين الطرفين، كانت أهم شروطه تسليم القدس للفرنج باستثناء الحرم الشريف ومزاراته، وإبقاء المدينة خراباً وعدم تجديد العمارة فيها.

وبعد تسع سنوات من هذا توفي الملك الكامل، فتولى الأمر بعده ابنه الملك الصالح نجم الدين، غير أن الأخير ما لبث أن انكسر وتغلب عليه ابن عمه الملك الناصر داود ابن الملك المعظم وارث مملكة أبيه بما فيها القدس قبل أخذ الكامل لها.

وفي غمرة خلافات الأسرة الأيوبية، قام الفرنج بتعمير قلعة جعلوا برج داود أحد أبراجها، فأثار ذلك الملك الناصر وجعله يتوجه إليها وينصب عليها المجانيق ويستولي على المدينة سنة (٦٣٧هـ / ١٢٣٩م).

وفي سنة (٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) استولى الملك الصالح نجم الدين أيوب على مناطق من بلاد الملك الناصر داود بالشام ومنها مدينة القدس، وبقيت المدينة بيده حتى سنة (٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) حيث تم بعدها تملّك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز للقدس بعد سيطرته على دمشق عام (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م)، وظلت المدينة بيد الأخير سنة واحدة اتفق بعدها على تسليمها وبعض المناطق للملك المعز عز الدين أيبك التركماني صاحب مصر بعد قيامه بحصار دمشق.

كانت هذه الأمور تمثل جانباً تاريخياً سياسياً للمدينة المقدسة في فترة امتدت سبعاً وستين سنة، وهناك جوانب أخرى جاءت مكملة لذلك الجانب أهمها الجانب الإداري.



الفصل الثالث

الإدارة في العهد الأيوبي

١-الإدارة في عهد نور الدين زنكي

٢-الإدارة في العهد الأيوبي

أ-إدارة المدن والقلاع

ب-الإدارة في مدينة القدس

١-الولاية والولاة

٢-النائب

٣-ناظر الديوان

٤-القضاء والقضاة

٥-الناظر الشرعي

٦-وكيل بيت المال

٧-المحتسب

٨-الخطباء

٩-القرّاء والمؤذنون والقَوَمَة

٣-خلاصة



١ - الإدارة في عهد نور الدين زنكي:

يقول القلقشندي في بداية حديثه عن الإدارة في العهد الأيوبي "واعلم أن الدولة الأيوبية لما طرأت على الدولة الفاطمية وخلفتها في الديار المصرية، خالفتها في كثير من ترتيب المملكة، وغيَّرت غالب معالمها، وجرت على ما كانت عليه الدولة الأتابكية[١] عماد الدين زنكي بالموصل، ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود بالشام وما معه"[٢].

وفي هذا القول دلالة واضحة على أن النظم الإدارية في الدولة الأيوبية جرت في معظمها على ما كانت عليه النظم في العهد الأتابكي، الذي يمثله عماد الدين زنكي بالموصل وابنه نور الدين محمود بالشام. ونستطيع من مقولة القلقشندي إلقاء الضوء بشكل صحيح على التنظيمات الإدارية السياسية المعمول بها في العهد الأيوبي من خلال دراسة النظم الإدارية في الدولة الأتابكية، وقد ارتأينا تفصيل القول في هذا المجال في مملكة نور الدين دونما أن نغفل التنظيمات التي وجدت في عهد والده عماد الدين زنكي، لأن التنظيمات الواردة لدينا في العهد النوري ورد معظمها في العهد العمادي، كذلك فإن عهد نور الدين أقرب إلى دراستنا من عهد عماد الدين.

بدأ نور الدين زنكي محمود بن عماد الدين زنكي حكمه عام (٥٤١هـ / ١١٤٦م) بعد وفاة والده عماد الدين الذي حكم من (٥٢١ – ٥٤١هـ / ١١٢٧ – ١١٤٦م)، وأولى نور

---

(١) الأتابك: أصله بالطاء فقلبت تاء في الاستعمال ومعناه أمير أب، والمراد أبو الأمراء وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل. القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج٤، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م، ص ١٨.

(٢) المصدر ذاته ص ٥.

الدين الإدارة في دولته كل اهتمام وعناية، فانتقى رجال الإدارة ممن خبرهم عن كثب، أو ممن عملوا مع والده عماد الدين زنكي[(١)].

ومن خلال الأخبار القليلة المتوافرة عن الجانب الإداري، نستطيع أن نتبين أهم الوظائف الإدارية في دولة نور الدين زنكي وهي: النائب الذي يقوم مقام الملك في عامة أموره أو غالبها[(٢)].

والوزير الذي يقوم بمهمات الدولة وأمور المملكة، فيتولاها على أحسن وجه، ويعمل على إصلاح أحوالها، ويستخدم لها من يراه أهلاً وكفؤاً لذلك[(٣)].

ومسؤول الديوان أو متولي الديوان: وهو المسؤول الأعلى للديوان، سواء أكان ديوان الإنشاء أو البريد أو المال، وكان يساعده عدد من الموظفين[(٤)].

والمستوفي: الذي يطالب المستخدمين بما يجب عليهم دفعه من الحساب في أوقاته[(٥)].

---

(١) ظهر في عهد عماد الدين زنكي إداريون استمروا في ممارسة الإدارة في عهد نور الدين زنكي منهم: أسد الدين شيركوه عم الناصر صلاح الدين، وصلاح الدين الياغسياني.

(٢) القلقشندي، صبح، ج٤، ص ١٦.

كان مجد الدين بن الداية نائب نور الدين في حلب. أبو شامة، الروضتين، ج١، ق١، لجنة التأليف، القاهرة، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م، ص ٣٠٥.

(٣) ابن شاهين، زبدة، ص ٩٤.

كان وزير عماد الدين زنكي جمال الدين محمد بن علي وبعد وفاته تولى الوزارة جلال أبو الحسن علي ابن جمال الدين. أبو شامة، الروضتين، ج١، ق١، ص ٣٠٦. المصدر ذاته، ج١، ق، المؤسسة المصرية، القاهرة، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، ص ٦٦٦ — ٦٦٧.

(٤) ابن مماتي، الأسعد بن خطير، (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٦٣هـ / ١٩٤٣م، ص ٢٩٨.

كان متولي ديوان حلب أمين الدين زين الحاج أبا القاسم، أبو شامة، الروضتين، ج١، ق١، ص ٣٠٥.

(٥) ابن مماتي، قوانين، ص ٣٠١.

كان مستوفي مصر الموفق خالد بن القيسراني (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م). ابن قاضي شهبة، الكواكب ص ٢٢٠ — ٢٢٣، وقد تولى العماد الكاتب مهمة الإستيفاء كذلك. أبو شامة، الروضتين، ج١، ق٢، ص ٥٢٥.

والأمير الحاجب: الذي ينصف بين الأمراء والجند، تارة بنفسه، وتارة بمشاورة السلطان، وتارة بمراجعة النائب، وإليه تقديم من يُعرَض ومن يُرَدّ، وعرض الجند وما ناسب ذلك[1]

ووالي البلد: الذي كان يستلم عن مجددات ولايته من قتل أو حريق كبير أو نحو ذلك[2]

ووالي القلعة: ومهمته حفظ القلعة، وهو مسؤول عن فتح باب القلعة وإغلاقه[3].

والشحنة[4]: وصاحبها مسؤول عن إدارة المدينة والمحافظة على أمنها واستقرارها وملاحظة الخارجين على النظام ومعاقبة المسيئين[5]. ومن الملاحظ أن معظم الوظائف في الإدارة الزنكية، كانت معروفة في العهد السلجوقي، وعلى سبيل المثال وظيفة الوزير ومسؤول الديوان والمستوفي والأمير الحاجب والشحنة[6].

---

(١) القلقشندي، صبح، ج٤، ص١٩.

كان محمد العمادى (ت ٥٦٥هـ / ١١٦٩م)، أمير حاجب نور الدين. أبو شامة، الروضتين، ج١، ق٢، ص ٤٥٨.

(٢) القلشندي، صبح، ج٤، ص ٦٠.

كان فخر الدين سرخاك (ت ٥٥٢هـ / ١١٥٧م) والي ناحية بصرى، وظهير الدين سكمان والي خلاط. أبو شامة، الروضتين، ج١، ق٢، ص ٢٨٦، ٤٦٣.

(٣) القلشندي، صبح، ج٤، ص ٢٣. من ولاة القلاع شاذبخت الخادم النوري متولي قلعة حلب. أبو شامة، الروضتين، ج١، ق٢، ص ٥٩٥.

(٤) تولى الشحنكية بدر الدين حسن شقيق شمس الدين الداية، أبو شامة، الروضتين، ج١، ق٢، ص ٥٩٥.

(٥) حسين أمين، نظام الحكم في العصر السلجوقي، مجلة سومر، ج١ + ٢، م٢٠، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ص ٢٢٠،

(٦) المرجع ذاته، الصفحات ٢١٢، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠.

٢-الإدارة في العهد الأيوبي[١]:

عندما فتح صلاح الدين بلاد مصر والشام والجزيرة الفراتية، عمد إلى تعيين نوابه على الأقاليم[٢]، وكان هؤلاء النواب يمتّون بصلة للسلطان صلاح الدين، كما كانوا يتمتعون بشجاعة ومقدرة[٣]، مما جعل السلطان يشركهم في حروبه ووقعاته،[٤] وكانت مرتبة النواب إدارياً تلي مرتبة السلطان، فهم -أي النواب- يحكمون في كل ما يحكم فيه السلطان، ويستشارون أو يعرفون في التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعرف عليه السلطان[٥].

ويلي النائب، الأتابك: الذي يقوم بتربية أبناء الملوك وهم صغار إلى أن يصيروا في سن تؤهلهم للك المملكة[٦] وكان الأتابك يتمتع في بعض الأحيان بسلطة قوية تجعله يسيطر على المملكة[٧].

ويأتي الأمير الحاجب إدارياً بعد الأتابك، وهو من أرباب السيوف[٨] التي يملك صاحبها قدرة على القتال والدبلوماسية التي تكسبه القدرة على التفاهم والتباحث

---

(١) حاولت في هذا البند أن آخذ بالترتيب الإداري الذي اتبعه القلقشندي في صبح الأعشى، ج٤، عند حديثه عن الوظائف المتعلقة بأرباب السيوف والوظائف الديوانية والدينية في مصر.

(٢) فقد عين السلطان، الملك العادل على مصر سنة (٥٨٢هـ / ١١٨٦م)، ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٥٢٣ وعين سيف الإسلام، طغتكين شقيقه على اليمن. العماد، الفتح، ص ٦٤٤، وجعل حلب للملك الظاهر غازي ومعه الأمير سيف الدين يازكوج. ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٥٠١.

(٣) كان اختيار النواب الذين يتمتعون بهذه الصفة ضروري في هذه الفترة من أجل الدفاع عن الأقاليم المتربص بها العدو الصليبي.

(٤) انظر ابن شدّاد، النوادر، ص ٨٦، ص ١٢٩، ٢٢٢.

(٥) القلقشندي،صبح، ج٤، ص ١٦.

(٦) أنظر عن أصل كلمة (الأتابك) ص ٧٧ من هذا البحث (بالهامش).

(٧) كما حدث بالنسبة للملك العادل الذي تعهد بالمنصور ولد العزيز بن صلاح الدين.

(٨) يقول السبكي: "الحجوبية: وظيفة قديمة، وكان الحاجب يسمى قائد الجيش ولم يكن في الزمن الماضي يحكم بل يعرض الجيش ويعتبر حاله وينهيه إلى الأمير"، السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي النجار. أبو زيد شلبي، محمد أبو العيون، ط١، جماعة الأزهر، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م، ص ٤٠.

مع الآخرين[1]. وقد يشترك الحاجب مع الوالي في تفقّد حال الرعية وإعلام السلطان بنقص الميرة[2]. أما الأمير الجاندار[3] فهو موظف إداري يستأذن بالدخول على الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان[4].

ووجدت كذلك وظيفة الاستادار[5]، ويشغلها أحد الأمراء العسكريين، ومهمته الإشراف على أمور المطبخ والشراب، وقضاء حوائج السلطان وطلباته وتنفيذ أوامره الشخصية[6].

ويلي الاستادار مشد الدواوين[7]، ويكون هذا رفيقاً للوزير متحدثاً في استخلاص الأموال وما في معنى ذلك[8]، أما الولاية[9] فتأتي بعد مثل الدواوين، ويليها الشحنة[10]. هذا فيما يتعلق بوظائف أرباب السيوف، أما الوظائف الديوانية فأولها: الوزارة التي قلّ شأنها لدى الأيوبيين، نتيجة لاستحداث منصب النائب،[11] إضافة إلى مشاركة ناظر

---

(١) فقد تباحث حاجب الملك العادل مع الانكلتار بشأن القدس، ابن شدّاد، النوادر، ص ٢٠٦.

(٢) كما حصل مع الحاجب لؤلؤ (ت ٥٩٦هـ / ١١٩٩م)، حاجب العادل والأمير بهاء الدين قراقوش والي عكا، ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٣٣١.

(٣) كان الأمير زين الدين أمير جاندار، المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص ٣٥٤.

(٤) القلقشندي، صبح، ج٤، ص ٢٠.

(٥) كان صارم الدين النجمي (ت ٥٩٦هـ / ١١٩٩م) أستادار
أنظر أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٢٣٩.

(٦) القلقشندي، صبح، ج٤، ص ٢٠.
حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج١، دار النهضة العربية القاهرة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ص ٤١.

(٧) كان الأمير جمال الدين بن يغمور (ت ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) مشد الدواوين، عثمان بن إبراهيم النابلسي ت نحو ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م، لمع القوانين المضيّة في دواوين الديار المصرية، ص ١٤، مجلة المعهد العلمي بدمشق (باللغة الفرنسية) ج٧١ X سنة ١٣٧٨ - ١٣٨٠هـ / ١٩٥٨ - ١٩٦٠م، دمشق ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.

(٨) القلقشندي، صبح، ج٤، ص ٢٩.

(٩) أنظر تعريفها ص ٧٩ من هذا البحث.

(١٠) أنظر تعريفها كذلك ص ٧٩.

(١١) يذكر ابن فضل الله العمري "أن الوزير يجري مجرى النائب وهما على حد سواء" شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، القاهرة ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٦٥.

الدولة ومشد الدواوين مهام الوزير[1].

ويلي الوزير كاتب السرّ، ويدعى كذلك صاحب ديوان الإنشاء،[2] ومهمته قراءة الكتب الواردة إلى السلطان وكتابة أجوبتها، وأخذ خط السلطان عليها وتفسيرها[3]، وبعد كاتب السرّ نرى وظيفة المستوفي[4] ويعمل صاحبها على ضبط أمور الدولة وتحريرها ومعرفة أصول الأموال ووجوه مصاريفها[5].

أما ناظر الدواوين[6] فهو يتحدث في كل ما يتحدث فيه الوزير ويشاركه في الكتابة[7] ويتولى الإشراف على المستخدمين والولاة[8] والنظّار[9] الذين يعملون في ديوان بيت المال،[10] ووجدت كذلك وظيفة متولي الخزانة[11]، ومن تسميتها يفهم أن صاحبها موكول بالخزانة ومؤمَّن عليها[12]. وبجانب هذه الوظائف نجد الوظائف الدينية

---

(١) أنظر عن ذلك، القلقشندي، صبح، ج٤، ص ٢٩.

(٢) المصدر ذاته ص ١٨٩، وقد تولى ذلك المنصب القاضي الفاضل في حياة صلاح الدين، المصدر ذاته، ج١، ص ٩٧.

(٣) القلقشندي، صبح، ج٤، ص ٣٠.

(٤) ابن النابلسي، لمع، ص١٤.

(٥) القلقشندي، صبح، ج٤، ص ٣٠.

(٦) تولى عثمان بن إبراهيم النابلسي صاحب كتاب، لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، نظر الدواوين سنة (٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) ابن النابلسي، لمع، ص٤.

(٧) القلقشندي، صبح، ج١١، ص ٣٢٥.

(٨) وهو يقوم بضبط المعاملات الجارية في الديوان –ديوان بيت المال- بخطه – انظر بشيء من التفصيل ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٢٩٨ – ٢٩٩

(٩) الناظر: شخص يستظهر به على متولي الديوان، وليس لأحد مستخدميه أن ينفرد عنه بشيء من علم المنظور فيه. المصدر ذاته، ص ٢٩٨

(١٠) وردت تسميات كثيرة لهذا الديوان منها الديوان، ديوان المال، ديوان النظره.

أنظر: العماد، الفتح، ص ٦٥٨. ابن النابلسي، لمع، ص ٢٣، حسن الباشا، الفنون ج٣، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، ص ١١٧٩. وقد كان يتفرع من هذا الديوان عدة دواوين منها ديوان الجيش ديوان الإنشاء ديوان الأحباس، ديوان المواريث. أنظر: ابن النابلسي، لمع، ص ٢٣ – ٢٥، ٥٤.

(١١) العماد، الفتح، ص ٤٥٨.

(١٢) انظر القلقشندي، صبح، ج٤، ص ٣١.

التي تعلوها رتبة قاضي القضاة[1]، الذي يعين نوابه في الولايات والمدن[2]. ومن ثم وظيفة قاضي العسكر[3] الذي يتولى الفصل بين الجند ويتحدث في الأحكام في أثناء تنقلاتهم[4].

كما وجد منصب وكيل بيت المال[5] الذي تتعلق وظيفته بمبيعات بيت المال ومشترياته من أرض وآدر وغير ذلك مما يجري هذا المجرى[6]. ومن الوظائف الدينية كذلك وظيفة المحتسب، الذي كان يدعى بالشيخ الأجل[7] ومهمته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس[8].

أ- إدارة المدن والقلاع:

عندما حرر صلاح الدين المدن والقلاع من الصليبيين، قام بتعيين الولاة عليها، واختار ولاته ممن عرفوا بالشجاعة والمقدرة، وممن خبرهم أو شاركوه حروبه كالوالي حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ابن أخت السلطان (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م) والي نابلس[9]، والوالي عز الدين جورديك (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٧م) والي القدس[10]، ويبدو أن الصفات السالفة التي حرص السلطان على توفرها في ولاته كانت ضرورية في هذه

---

(١) كان قاضي قضاة مصر سنة (٥٦٦هـ / ١١٧٠م)، صدر الدين عبد الملك بن درباس الهرباني الشافعي المقريزي، اتعاظ، ج٣، ص ٣١٩.

(٢) ابن كثير، البداية، ج١٢، ص ٢٦٣.

(٣) كان بهاء الدين بن شدّاد قاضي عسكر صلاح الدين سنة (٥٨٤هـ / ١١٨٨م)، ابن شدّاد، النوادر، ص ١١.

(٤) القلقشندي، صبح، ج١١، ص ٢٠٤. حسن الباشا، الفنون، ج٢، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، ص ٨٦٦.

(٥) كان وكيل بيت المال في مصر سنة (٦١٨هـ / ١٢٢١م)، جمال الدين المصري (ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م)، ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ١٧٢.

(٦) ابن النابلسي، لمع، ص ٤١، ٤٣، القلقشندي، صبح، ج٤، ص ٣٦.

(٧) ابن الأثير، ضياء الدين (ت ٦٣٧هـ / ١٣٣٩م)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ق٢، ط١، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م، ص ٣٨٦.

(٨) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله ت نحو ٥٩٠هـ / ١١٩٣م، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ميكروفيلم، شريط رقم ١٤٢٠، الجامعة الأردنية، ورقة٢.

(٩) العماد، الفتح، ص ٥٧١.

(١٠) المصدر ذاته، ص ٥٣٣.

الفترة التي يتربَّص بها العدو الصليبي بالمسلمين، والذي لا ينفك يتحيَّن الفرص من أجل استرداد المدن والقلاع التي حرّرها من قبل صلاح الدين، وكانت سابقاً بحوزتهم، كما أن اختياره للولاة المقربين إليه لا يدل بحال على تحيزه أو انحرافه عن جادة الطريق، بل يدل على بعد نظره، فباختياره هؤلاء يضمن عدم خروجهم عن طاعته في وقت هو في أمسّ الحاجة إلى بقائهم يداً واحدة يحكمها سلطان برأي يقف ضد الصليبيين، كذلك فإن الولاة المجرَّبين أفضل من الولاة الذين لم يختبر مقدرتهم أو كفاءتهم عن قرب.

كان تعيين الوالي يتم عن طريق السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد فتحه للمدينة أو عن طريق الملوك الأيوبيين، مع بقاء السلطة العليا لسلطان مصر، كون مصر السلطنة الأيوبية، إضافة إلى عظم الديار المصرية وكثرة مغلاتها[١]، وبعد التعيين يخرج منشور يقوم قاضي العسكر بقراءته على الوالي[٢]، فيتعهد الأخير بعد ذلك بالإخلاص والولاء للسلطان مقابل الإقطاع الذي يقطعه السلطان له، والذي قد يعني في بعض الأحيان الولاية[٣]، وفي أحيان أخرى يعني تخصيص مناطق معينة كإقطاع مقابل خدمة قام بإدائها للسلطان[٤].

وبعد تكليف الوالي بالولاية يعمد السلطان إلى تفقدها[٥] وتفقد حال الرعية[٦] بشكل مستمر، وفي الأصل فإن ذلك من مهام الوالي إضافة إلى حفظ الأمن وتفقد الغلة والميرة[٧].

أما صلاحيات الوالي فهي: تعيين نواب يقومون بالولاية نيابة عنه، حيث إن هذه

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٥.

(٢) العماد، الفتح، ص٦١١.

(٣) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٨٨.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٢٠١.

(٥) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ١٢٠، ٢٠٨.

(٦) المصدر ذاته، ص ٢٠٧.

(٧) ابن شدّاد، النوادر، ص ١٨٩، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ١٣٨.

الفترة فترة حروب مما يستدعي خروج الوالي باستمرار من الولاية أو المدينة[1].

كان مقر الوالي أو النائب[2] في القلعة التي كان احتلالها يعني السيطرة على المدينة بأكملها[3]. والقلعة تكون على مرتفع أو جبل وتكون ظاهر البلد أو المنطقة حتى يرى العدو أو المهاجم بسهولة، وتضم مسجداً وسجناً[4] كما تحوي أماكن لخزن الذخائر والسلاح[5] يتولاها خادم أو حارس[6] ربما يقوم بمساعدة والي القلعة إذا كان لها والٍ[7] منفصل عن والي المدينة[8]، أو يساعد والي المدينة الذي يجمع إلى ولاية المدينة ولاية القلعة[9].

هذا عن الولاية، أمّا الوظائف الأخرى فهي كالتالي: الشحنة[10] وكاتب السر[11]

(١) انظر عن ذلك العماد، الفتح، ص ٥٧٩.

(٢) يذكر السبكي أنه في القديم –ربما يقصد في العهد الأيوبي- كان يطلق لفظ النائب على الوالي، معيد، ص ٤٣.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٦٤، ١١٨. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص ٢٢١.

(٤) كما في قلعة حماة انظر: ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٨٧.

(٥) الحديث كذلك عن قلعة حماة: ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٧.

(٦) يرد ذكر الخادم جمال الدولة إقبال (ت ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م)، أنه كان الخادم بالقدس. أبو شامة، الذيل، ص ٥٩.

(٧) وجد في هذا العهد والي للقلعة يتولى حفظها والدفاع عنها من مثل البدر الجعبري (ت ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م)، والي قلعة دمشق، سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق٢، ص ٦٤٢.

(٨) مثل والي قايماز النجمي (ت ٥٩٦هـ / ١١٩٩م) الذي ولي طبرية سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م)، أبو شامة الروضتين، ج٢، ص ٧٩.

(٩) مثل الوالي عز الدين جورديك والي مدينة القدس. انظر عن ذلك ص ٨٨ من هذا البحث.

(١٠) كان حسام الدين بشارة شحنة حلب سنة (٥٨٢هـ / ١١٨٦م)، العماد، الفتح، ص ٧٣.

(١١) ولي العادل كتابة السر في حلب للصنيعة ابن النحال سنة (٥٧٩هـ / ١١٨٣م)، أبو شامة، الروضتين ج٢، ص ٥٢.

ومستوفي الديوان[1]، ومتولي الخزانة[2] والقاضي[3]، والمحتسب[4]، وكان تعيين هذه الوظائف يتمُّ عن طريق السلطان في البداية، ثم أصبح عن طريق الملوك مع بقاء السلطة العليا لسلطان مصر.

ب- الإدارة في مدينة القدس:

كان في مدينة القدس كغيرها من المدن الصغيرة وظائف إدارية أمكن تحديدها من خلال المصادر بما يلي: الولاية والولاة.

أ- الولاية:

كانت مدينة القدس والمناطق التابعة لها في العهد الأيوبي ولاية صغيرة[5] تتبع السلطة حيناً في مصر، وتتبع السلطة في دمشق حيناً آخر، ويحكم المدينة والٍ واحد يُكلَّف بولاية المدينة والقلعة[6] كونه يجمع مع الولاية قيادة العسكر[7].

كان تعيين الوالي بداية؛ أي بعد الفتح الصلاحي سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م يتم من السلطان صلاح الدين الأيوبي بمشورة الملوك في ذلك، وبعد وفاة السلطان أصبح هذا الأمر من صلاحيات الملك الأفضل ملك دمشق، ثم صار للسلطان العزيز عثمان سلطان مصر، ومن ثم غدا بيد الملك المعظم ملك دمشق، فالسلطان الكامل سلطان

---

(١) كان الوجيه بن النفيس (ت ٥٨٧هـ / ١١٩١م) مستوفي دمشق، المصدر ذاته، ص ١٩٥ كان متولي ديوان حلب سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ناصح الدين إسماعيل بن العميد، المصدر ذاته، ص٤٧. وكان متولي ديوان حلب سنة (٥٧٩هـ / ١١٨٣م) ناصح الدين إسماعيل بن العميد، المصدر ذاته، ص ٤٧.

(٢) تولى الصفي بن القابض الخزانة في دمشق سنة (٥٧٥هـ / ١١٧٩م)، المصدر ذاته، ص ١٥.

(٣) كان قاضي البلقاء سنة (٦٢٩هـ / ١٢٣١م) القاضي جمال الدين عبد الحق المغربي. ابن واصل، مفرج ج٤، ص ٣٣٠.

(٤) تولى حسبة دمشق الجمال بن كروس (ت ٦٤١هـ / ١٢٤٣م) سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق٢، ص٧٤٣.

(٥) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٢٠٥. القلقشندي، صبح، ج٤، ص ١٩٩.

(٦) كان والي القدس يقيم في قلعة داود الواقعة بظاهر القدس من جهة الغرب، وكان لهذه القلعة جامع رتب فيه امام ومؤذنون وقوام، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص١١٤.

(٧) القلقشندي، صبح، ج٤، ص١٩٩.

مصر، وهكذا بقي الأمر يتنقل من ملك إلى سلطان[١] تبعاً لقوة هذا السلطان وامتداد سيطرته.

وبعد تعيين الوالي يُكلَّف قاضي العسكر[٢] بقراءة منشور الولاية أمامه، ويشترط عليه الأمانة[٣] وتقوى الله واتباع الشرع[٤]. ومن خلال مناشير التولية نستنتج أن الصفات التي كان يحرص السلطان أو الملك على وجودها في الوالي عند تعيينه تتلخص في ثلاث هي: الكفاية، الشّهامة، الديانة[٥].

أما واجبات الوالي فتقتضي تلبية أوامر السلطان في حالة استدعائه[٦] وقيادة الحج[٧] إذا كُلِّف بذلك، وتعمير البلد[٨] وتفقّد غلّته وميرته، وعدَّته ورجاله، وإخبار السلطان بذلك[٩].

وللوالي حق تعيين نوابه[١٠] على القدس، لا سيما وأنه يشترك في العمليات العسكرية مع السلطان، أو يخرج لقيادة قافلة الحج[١١].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في الفصل التاريخي من هذا البحث.

(٢) قام بهاء الدين بن شدّاد قاضي العسكر بقراءة المنشور على حسام الدين سياروخ، أما سبب تكليف قاضي العسكر بذلك دون غيره فلأن الوالي هو قائد للعسكر، وقاضي العسكر مفوض بأمور الجند والعساكر.

(٣) ابن شدّاد، النوادر، ص ٢٤٠.

(٤) العماد، الفتح، ص ٥٨١.

(٥) العماد، الفتح، ص ٦١١، القلقشندي، صبح، ج١٢، ص ٣٣١ " نسخة توقيع بولاية القدس من إنشاء ابن نباته.

(٦) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص٧٤.

(٧) سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق٢، ص ٥٣٩.

(٨) العماد، الفتح، ص ٥٨٠.

(٩) ابن شدّاد، النوادر، ص ١٨٩.

(١٠) العماد، الفتح، ص ٥٧٩.

(١١) أبو شامة، الذيل، ص ٦٥. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٧٤.

ب- ولاة مدينة القدس:

تولى مدينة القدس وبلادها عدد من الولاة منهم:

١- **الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري الكردي:** ولايته من (٥٨٣ – ٥٨٥هـ / ١١٨٧ – ١١٨٩م) كان صاحب أسد الدين شيركوه ومضى معه إلى مصر حين ملكها، ثم اختص بالسلطان صلاح الدين الأيوبي[١] وشاركه في بعض حروبه، مما جعل السلطان يعطيه جميع ما في عكا مما كان للداوية من إقطاع وضياع[٢]، ثم ولاه القدس بعد فتحه سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م)، واستمر على ولايته حتى توفي سنة (٥٨٥هـ / ١١٨٩م)، عند منزلة الخروبة قرب عكا[٣].

٢- **الأمير حسام الدين سياروخ:** (٥٨٥ - ٥٨٨هـ / ١١٨٩ – ١١٩٢م) أمير تركي ولاّه صلاح الدين ولاية القدس، بعد وفاة الفقيه ضياء الدين، وكان زاهداً حسن السيرة، متديناً فيه لين، محباً لعمل الخير، أميناً[٤] ونظراً لورعه فقد استعفى من الولاية سنة (٥٨٨هـ / ١١٩٢م)[٥]

٣- **الأمير عز الدين جورديك النوري:** (٥٨٨ - ٥٩١هـ / ١١٩٢ – ١١٩٤م) كان أميراً من أمراء نور الدين زنكي، انضم إلى خدمة صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٠

---

(١) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ١٥٠.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٢٠١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص٤٢.

ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٣٣٤. الملك الأشرف الغساني، عماد الدين أبو العباس إسماعيل ابن العباس اسماعيل (ت ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م)، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ج١، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي، بيروت، لبنان، دار البيان، بغداد، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م، ص٢٠٨.

(٤) العماد، الفتح، ص٦١١.

(٥) المصدر ذاته، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٢٠٥.

هـ / ١١٧٤م)[١]. فولاه عكا سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م)[٢]، وأظهر شجاعة وقوة مما جعل السلطان يشركه في حروبه ومعاركه، كما أظهر خبرته السياسية ومعرفته العسكرية، ومن ذلك أنه وقت حصار صور أشار الأمراء بالرحيل لكن عز الدين أشار إلى الثبات حتى الفتح، لئلا يضيع ما تقدم من فتوح وإنفاق الأموال[٣] كل هذه الأمور جعلت السلطان يختار عز الدين لولاية القدس بعدما شاور فيه الملك العادل والملك الأفضل، والملك الظاهر، وأهل الدين والصلاح. وأمر السلطان القاضي بهاء الدين بن شدّاد قاضي العسكر أن يكتب له الولاية، واشترط عليه الأمانة[٤] وبقي عز الدين جورديك على ولاية القدس، بعد وفاة السلطان صلاح الدين، وكانت القدس من البلاد المضافة لابنه الأفضل صاحب دمشق، فعمد الأفضل إلى تسليم القدس وعمله لأخيه العزيز صاحب مصر بمشورة وزيره ضياء الدين الجزري[٥]، فأقر العزيز عز الدين على ولايته، واستمر بها إلى أن بذل له الأفضل إقطاعاً، وطلب منه تسليم القدس فسلّمه إياه[٦].

٤- **الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين الكردي:** (٥٩١ – ٥٩٢هـ / ١١٩٤ – ١١٩٥م) أمير من أكابر الأمراء الذين شاركوا في حروب السلطان صلاح الدين[٧] تولى نصيبين سنة (٥٧٨هـ / ١١٨٢م)[٨] وناب عن السلطان في عكا، وما لبث أن خرج منها قبل أخذ الفرنج لها المرة الثانية[٩]، فسلمه

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٤١٨.

(٢) العماد، الفتح، ص ١٨٢، ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٢٤٧. ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٥٥٧.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٢٤٦.

(٤) ابن شدّاد، النوادر، ص ٢٤٠.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ١٤ – ١٥.

(٦) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٢٣٤. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٥٢.

(٧) ابن شدّاد، النوادر، ص ٢١١.

(٨) ابن واصل، مفرج، ج٢، ص١١٨.

(٩) ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٥.

الأفضل والعادل القدس بعد أخذها من عز الدين جورديك[1]، فتولاها فترة قصيرة، وذلك لأن العزيز عاد فتملَّك القدس، فخاف حسام الدين منه وبذل له تسليم القدس مقابل العفو عنه، فأجابه العزيز إلى ذلك[2].

٥-**الأمير شمس الدين سنقر الكبير:** (٥٩٢ - ٥٩٤هـ / ١١٩٥ - ١١٩٧م)، أمير ولّاه العزيز أمر القدس بعدما سلَّمه إياه حسام الدين[3]، شُهِر بالشجاعة والقوة، وشارك الملك العادل قتال الفرنج عند استيلائهم على قلعة بيروت، وتصميمهم السيطرة على مناطق أخرى من بلاد المسلمين[4].

٦-**صارم الدين ختلج مملوك عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب:** (٥٩٤ – ٥٩٦هـ ظناً / ١١٩٧ – ١١٩٩م ظناً) كان من الأمراء الذين راسلوا الملك العادل وهو في ماردين، ليتولى أتابكية المنصور ابن الملك العزيز بعد وفاة الأخير سنة (٥٩٥هـ / ١١٩٨م)[5].

٧-**أبو عمرو عثمان بن علي بن عبد الله الزنجبيلي:** (٥٩٧ – ٦٠٤هـ ظناً / ١٢٠٠ – ١٢٠٧م ظناً): وكل بأمر القدس، بعد وفاة الملك العزيز وتولي العادل السلطنة الأيوبية، فقام العادل بإقطاع دمشق والأردن وفلسطين لابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى، ويظهر أن هذا الوالي كان يتمتع بشجاعة وقوة عسكرية، بدليل الألقاب التي نعت بها كالاسفهلار[6] الكبير الأوحد الأخص

---

(١) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٣٤. ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٥٢.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٧٠. المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص ١٣٦.

(٣) المصدر ذاته.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٧٤. أبو الفداء، المختصر، م٢، ص ١٢٢. الداوداري، كنز الدرر، ج٧، ص ١٣٦ – ١٣٧.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٣، ص ٩٢.

(٦) الاسفهلار: لفظ مركب من مقطعين، أسفه، وهو فارسي ومعناه المقدم، سلار وهو تركي ومعناه العسكر، ومعنى اللفظ مقدم العسكر – القلقشندي، صبح، ج٦، ص ٧ -٨.

الآمن، والمجاهد الغازي المرابط[1].

٨-الأمير حسام الدين أبو سعيد قيماز بن عبد الله المعظمي: (٦٠٤-٦١٠هـ ظناً/ ١٢٠٧ - ١٢٢٣م ظناً) تولى أمر القدس بتكليف من الملك المعظم ولد السلطان العادل، ويبدو أنه كان زاهداً ومتديناً[2]، تولى قيادة حج الشام سنة (٦٠٥هـ / ١٢٠٨م)[3].

٩-الأمير عز الدين ابن يغمور: (٦١٠ - ٦١٦هـ ظناً/ ١٢١٣ - ١٢١٩م ظناً) تولى القدس بأمر من الملك المعظم، فكلَّفه الأخير بالإشراف على تجديد الرواق الشمالي للصخرة سنة (٦١٠هـ / ١٢١٣م).[4] وبهذا الوالي ينتهي ذكر الولاة في المصادر التاريخية، ولعل سبب ذلك تخريب القدس سنة (٦١٦هـ / ١٢١٩م) وانتقال الأهالي منه بمن فيهم الولاة، إضافة إلى الخلافات الكثيرة التي حدثت بين الملوك الأيوبيين وبالأخص ما حصل بين الملك المعظم والملك الكامل، وما تم بين الأخير والملك الناصر داود، مما كان له أكبر الأثر في إهمال الولاية وولاتها والاهتمام ببسط السيطرة وزيادة النفوذ. كذلك لا نستطيع أن نغفل تهديدات الفرنج للبلاد الإسلامية بما فيها مدينة القدس سنة (٦٢٤هـ / ١٢٢٧م، وسنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م)، وآثار الخوارزمية بعد اجتياحهم للمدينة سنة (٦٤٢هـ / ١٢٤٤م)[5].

٢-النائب:

كان خروج الولاة من مدينة القدس، سواء للاشتراك في الحروب أو قيادة الحج يستدعي وجود من ينوب عنهم ويقوم بمهامهم، وقد وجد في مدينة القدس نواب[6]

---

(1) Max Van Berchem، CorpusInscriptionum Arabicarm – Jerusalem Haram Imprimeriede I'institute francais Archeologie Orientalele caire 1344 /1925، p. 38.

(2) Van، CIA، p 62.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق٢، ص ٥٣٩. أبو شامة، الذيل، ص ٦٥.

(4) Van، CIA، p. 83.

(٥) أنظر تفصيل ذلك في الفصل التاريخي من هذا البحث.

(٦) مما يدل على وجود أكثر من نائب قول العماد "فأبقى السلطان صلاح الدين الأيوبي ==

كُلِّفوا بمهام الوالي طوال غيابه، ومنهم ظهير الدين الهكاري الذي ناب عن أخيه ضياء الدين عيسى الهكاري، وكان ظهير الدين شجاعاً، اشترك في وقعة عكا سنة (٥٨٥هـ / ١١٨٩م)[١] واستشهد بعدما قاتل الفرنج وهم عند ديار بكر والجزيرة[٢].

٣-ناظر الديوان:

وهذه الوظيفة من الوظائف الديوانية المعروفة زمن الأيوبيين، يتم تعيين صاحبها من قبل الملوك الأيوبيين الذين تقع القدس ضمن سيطرتهم، وقد تولى هذه الوظيفة نُظَّار منهم القاضي الأشرف يوسف بن إبراهيم بن أبي أوفى، ناظر القدس من قبل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين بن أيوب[٣]، والناظر جمال الدين عبد الرحيم بن شيث الأموي القرشي الذي تولى بداية ديوان قوص[٤] ثم الإسكندرية ثم القدس[٥]، وبعد ذلك تولى كتابة الإنشاء للملك المعظم عيسى، وبلغ منزلة عظيمة لديه حتى صار وزيره[٦].

وكان ابن شيث بارعاً في العلم والأدب، على جانب كبير من المروءة والكرم، موصوفاً بأداء الصدقات، وقضاء حوائج الناس[٧].

== نوابه – نواب ضياء الدين عيسى العكاري- من بعده محافظة على عهده، الفتح، ٥٧٩.

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ٣٧.

(٢) العماد، الفتح، ص ٣٠٩.

(٣) ياقوت، معجم الأدباء المعروف بارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ط٢، اعتناء وتصحيح د. س مرجليوت، مصر، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م، ج٥، ص ٤٧٧، ٤٨٤ – ٤٨٥.

(٤) قوص: قصبة صعيد مصر بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً، ياقوت، معجم، ج٤، ص ٤١٣.

(٥) يحدثنا اليويني أن والده قد عاصر جمال الدين ابن شيث، ويذكر أنه كان ناظر القدس احتاط على تجارة توفي صاحبها ولم يكن له قريب بالقدس، فظهر بعد مدة نسيب له وأراد استخلاصها. اليويني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م). ذيل مرآة الزمان، م٢، مطابق عن النسختين في اكسفورد واستانبول، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م، ص ٥١.

(٦) عيسى اسكندر المعلوف، ابن شيث القرشي، مجلة العرفان، ج٥ – ٦، م٦، ١٣٣٩هـ / ١٩٢١ ص ٢٥٨.

(٧) الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، فوات الوفيات، ج١، تحقيق: محمد محي الدين ==

٤- القضاء والقضاة:

أ- القضاء:

كان السلطان صلاح الدين الأيوبي شافعي المذهب، وعندما تولى السلطنة الأيوبية أقام المذهب الشافعي بديار مصر مركز السلطنة، فعين قضاة شافعيين بعد أن كان القضاة بمصر على مذهب الإسماعيلية[١] ولقب هؤلاء القضاة بقضاة القضاة، وفاقت مرتبتهم المناصب الدينية الأخرى، وكلّفوا بتعيين نوابهم على المدن والولايات، فكان قضاة القدس الشريف، يُولّون من قبل قاضي دمشق، ونظراً لسيادة المذهب الشافعي في الدولة الأيوبية، فقد كان بالقدس الشريف قاضٍ شافعي واحد فقط[٢]. أما عن مجلس القضاء في القدس فقد ضم المدعي، والمدعى عليه أو وكيله، والشهود العدول والكتّاب[٣].

ب- القضاة في القدس:

١- **القاضي بهاء الدين بن شدّاد:** (٥٨٤ - ٥٩٠هـ / ١١٨٨ - ١١٩٣م) هو يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الحلبي، اتصل بخدمة صلاح الدين سنة (٥٨٤هـ / ١١٨٨م)،[٤] ثم ولاه قضاء العسكر وقضاء القدس، وهو أول قاضٍ ولي القدس بعد فتحه، وكان دائم الصحبة للسلطان صلاح الدين في حروبه وفتوحاته، ولعل هذا الأمر ألزمه بأن يعيّن نواباً له ينوبون عنه في القضاء طوال غيابه، فقام بتعيين القاضي أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب وقد ناب عنه سنة (٥٨٨هـ / ١١٩٢م)[٥] والقاضي صدر الدين أبو

= عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٧١هـ / ١٩٥١م، ص ٥٦١.

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٣٦٦، أبو الفداء، المختصر، م٢، ص ٦٨.

(٢) العليمي، الأنس، ج٢، ص ١١٨ - ١١٩.

(٣) ابن شدّاد، النوادر، ص ١٤ - ١٦.

(٤) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان ص ٨٨، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

(٥) العليمي، الأنس، ج٢، ص ١١٨.

إسحاق إبراهيم ابن عم الشهرزوري[(١)] الشافعي، فقد ناب عن بهاء الدين سنة (٥٩٠هـ / ١١٩٣م)[(٢)].

٢-**القاضي محمد بن إسماعيل بن حمدان أبو بكر الحيزاني:** (٥٩٠ - ٥٩٣هـ / ١١٩٣ - ١١٩٦م ظناً) كان فقيهاً شافعياً أديباً شاعراً، مدح السلطان صلاح الدين الأيوبي، فأجازه بثلاث مائة دينار وفرس وخُلْعة، وولي قضاء القدس ثم عاد إلى الجزيرة وصار محتسبها، وتوفي سنة (٦١٥هـ / ١٢١٨م)[(٣)].

٣-**القاضي شمس الدين أبو نصر محمد بن هبة الله بن يحيى بن بندار بن مميل الشيرازي:** (٥٩٤ - ٦٠١هـ ظناً / ١١٩٧ - ١٢٠٤م ظناً) أخذ الفقه عن القطب النيسابوري وابن أبي عصرون، وسمع الكثير وحدَّث بمصر والقدس ودمشق وولي قضاء القدس، ثم قضاء دمشق، توفي سنة (٦٣٥هـ - ١٢٣٧م)[(٤)].

٤-**القاضي شمس الدين يحيى بن بركات بن هبة الله بن الحسن الدمشقي بن سني الدولة:** (٦٠١ - ٦٠٥هـ ظناً / ١٢٠٤ - ١٢٠٨م ظناً) كان عالماً عفيفاً، فاضلاً عادلاً، منصفاً نزيهاً، ولي الحكم ببلدة القدس، ثم غدا قاضي قضاة دمشق، وكانت وفاته سنة (٦٣٥هـ / ١٢٣٧م)[(٥)].

---

(١) هو القاضي كمال الدين الشهرزوري قاضي دمشق توفي سنة (٥٧٢هـ / ١١٧٦م)، ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٤٩.

(٢) العليمي، الأنس، ج٢، ص١١٩.

(٣) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، ج٢، ط٢ باعتناء س. ديدرينغ، فرانز شتايز بقيسبادن، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص ٢١٧.

(٤) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ط١، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، ص ١٠٦ - ١٠٧، الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن، (ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠)م، طبقات الشافعية، ج٢، تحقيق: عبد الله الجبوري، رئاسة ديوان الأوقاف، العراق، بغداد ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، ص ١١٧ - ١١٨، ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية، ج٢، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٨م، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ١١٣-١١٤.

(٥) ابن كثير، البداية، ج١٣، ص ١٥١.

٥-**القاضي شمس الدين أبو الغنائم سالم بن يوسف بن صاعد:** (٦٠٥ - ٦٢٩هـ ظناً / ١٢٠٨ – ١٢٣١م ظناً) كان متقدماً عند الملك المعظم وابنه الملك الناصر داود من بعده، محترماً عند الملوك لكرمه ورياسته،[١] تولى قضاء القدس ونابلس في عهد الملك الكامل سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)[٢]، ولعل هذا القاضي هو أول قاضٍ يتولى القدس ونابلس في آن واحد، ويختلف ذلك عما عهدناه عن قضاة القدس، فقضاة القدس قبل هذا القاضي كانوا يُولَّون مدينة القدس فقط، أما سبب ذلك فربما يعود إلى اعتبار نابلس وأعمالها من مضافات القدس في ذلك الوقت،[٣] أو ربما يعود إلى قلة القضايا الموجودة في القدس أو ندرتها، لا سيما وأن أهالي القدس خرجوا منه بعد خرابه سنة (٦١٦هـ / ١٢١٩م) وبعد تسليمه للفرنج سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).

٦-**القاضي أبو عبد الله محمد بن صاعد بن السلم القرشي الشافعي:** (٦٢٩ – ٦٥٠هـ ظناً/ ١٢٣١ - ١٢٥٢م ظناً)، قاضي القدس، وتشير الأخبار أنه كان متوليه سنة (٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)[٤].

٥-الناظر الشرعي:

كثرت الأوقاف في مدينة القدس في العهد الأيوبي، فكان منها أوقاف الحرم، وأوقاف المدارس والبيمارستان، وأوقاف الصوفية والمغاربة، وكان لا بد لهذه الأوقاف من ناظر شرعي[٥] يهتم بالوقف ويشيد عمائره، ويحسن النظر فيه، والإشراف على الجهات المحبوسة على هذا الوقف، والعمل على زيادة ريعها، وتثمير مالها، وتنفيذ شروط

(١) ابن واصل، مفرج، ج٥، ص ١٥.
(٢) المصدر ذاته، ج٤، ص ٢٤٤.
(٣) ياقوت، معجم، ج٢، ص ١٦٠.
(٤) العليمي، الأنس، ج٢، ص ١٢٠.
(٥) كان هناك ناظر للأوقاف وناظر على عمارة معينة، قد تولى الأمير ناصر الدين الطن بالسيفي نظر وعمارة خندق قرب المسجد الأقصى.

الواقف بخصوصها، ومراقبة أرباب وظائفها[1].

وقد نالت أوقاف المسجد الأقصى وغيره من المساجد العناية الكبيرة من قبل السلاطين الأيوبيين، مما دعاهم إلى تنصيب ناظر شرعي يرعى شؤونها ويشرف عليها[2].

أما أوقاف المدارس والبيمارستان فقد نالت الأخرى عناية السلطان صلاح الدين الأيوبي، فاهتم بالمدرسة الصلاحية والبيمارستان، وأوقف عليها الوقوف وأوكل النظر في هذه الوقوف للقاضي بهاء الدين بن شدّاد[3]، ووجدت أوقاف حبست على فئة خاصة من الناس كأوقاف الصوفية والمغاربة، وكان يتولاها ناظر شرعي يشترط فيه أن يكون صوفيا إذا كان الوقف على الصوفية، ومغربياً إذا كان الوقف على المغاربة، وفي حالة وفاة الناظر فإن النظر ينتقل إلى أحد أولاده أو أحفاده من بعده[4].

٦-وكيل بيت المال

ومهمة صاحبها متعلقة بمبيعات بيت المال ومشترياته، من أرض وآدر وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى، ولا يكون صاحبها إلا من أهل العلم والديانة، ويتخذ مجلساً له بدار العدل[5].

وقد كان تعيين وكيل بيت المال من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي، مما يدل على عظم صاحبها ورفعته، وقد تولى هذا المركز في مدينة القدس الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر خضر المقدسي، حيث فوض إليه السلطان صلاح الدين بيع "الأملاك المختصة ببيت المال بالقدس الشريف"، ومنها كنيسة صند حنه -المدرسة

---

(١) حسن الباشا، الفنون، ج٢، ص ١١٩٢، ١٢١٤.

(٢) أبو شامه، الذيل، ص ٣١ — ٣٢.

(٣) العماد، الفتح، ص ٦١٢.

(٤) سجلات المحاكم الشرعية بالقدس، سجل ٩٥، شريط ٥٠٧، ص ٤٢٧، سجل ٧٧، شريط ٥٠٢. ص ٥٨٨.

(٥) القلقشندي، صبح، ج١١، ص ٢١٦.

الصلاحية-، حيث قام السلطان بشرائها والجهات التي وقفها عليها من بيت المال[1].
ويبدو أن هذه الوظيفة قد اختفت بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي أو أضيفت إلى غيرها، لأننا لا نجد ذكراً لها بعد هذا التاريخ.

٧-المحتسب

ووظيفته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس، مما يتطلب منه معرفة بأحكام الشريعة ليعلم ما يأمر به وما ينهى عنه، وبأن الحسن ما حسَّنه الشرع والقبيح ما قبَّحه[2].

وجدت هذه الوظيفة في العهد الأيوبي كما تحدثنا سابقاً، وكان صاحبها يُدعى بالشيخ الأجل[3] أما في مدينة القدس فإننا لم نعثر على شخصية كُلِّفت القيام بالحسبة، ولا يعني قولنا هذا عدم وجودها، بل ربما كانت تلك الوظيفة نظراً لصغر مدينة القدس مضافة للقضاء، كون القاضي أهم رجال الإدارة الدينية، ومما يدل على صحة ذلك أن القاضي الفاضل سنة (٥٨٦هـ / ١١٩٠م) كان موجوداً في مصر وبلغه أن ببيت المقدس منكرات وفواحش وظلماً لا يمكن تلافيه إلا بكلفة كثيرة[4]، كذلك وردت إشارة عن مدينة عكا تفيد أن محتسبها تولى الحسبة والقضاء في آن واحد،[5] وإذا تتبعنا تاريخ القدس قبل العهد الأيوبي، فإننا نجد في مملكة القدس وظيفة المحتسب الذي ظل محتفظاً بالاسم العربي[6].

---

(١) العليمي، الأنس، ح٢، ص١٤٤.
(٢) الشيزرى، نهاية، شريط رقم ١٤٢٠، ورقة ٢.
(٣) أنظر ص٨٣ من هذا الفصل.
(٤) ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٣٣٩.
(٥) أبو شامه، الروضتين، ج٢، ص ٨٧.
(٦) رنسيمان، تاريخ، ج٢، ص٤٨٨.

٨- الخطباء

عندما تم فتح بيت المقدس خرج المرسوم السلطاني بتعيين القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد بن علي بن محمد قاضي دمشق خطيباً للمسجد الأقصى، وخطب القاضي خطبة بليغة، واستمر القاضي ابن الزكي يخطب في الناس أيام الجمع أربع جمعات، ثم قرر السلطان للقدس خطيباً دائماً[(١)]. ويظهر أنه كان لكل مسجد خطيب يخطب فيه، غير أن لفظة "خطيب القدس" تعني لدى المصادر خطيب المسجد الأقصى، ومن أشهر الخطباء الذين يرد ذكرهم؛ أبو الحسن المعافري المالقي خطيب القدس،[(٢)] وقد كان محدثاً مجيداً، سمع كتاب الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى من مصنِّفه الحافظ أبي القاسم بن عساكر بقراءته بالمسجد الأقصى في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة (٥٩٦هـ / ١١٩٩م)[(٣)].

كذلك نجد من الخطباء خطيب القدس، كمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد النابلسي الشافعي كان صالحاً متعبداً زاهداً، توفي في دمشق[(٤)].

٩- القُرّاء والمؤذنون والقومة

عرف في مدينة القدس كثير من القُراء في العهد الأيوبي[(٥)] وكان يشترط فيمن يتولى هذه المهمة المعرفة التامة بالقراءات والنحو، إضافة إلى علوم العربية. ومن القُرّاء الذين وصلتنا أخبارهم القارئ خزعل بن عساكر بن خليل الشنأى أبو محمد المقرئ النحوي: رجل فاضل، ورع صالح، له معرفة تامة بالقراءات والنحو، وكان له شِعْر حسن، وقد

(١) ابن كثير، البداية، ج١٢، ص ٣٢٥ – ٣٢٦.

(٢) الذهبي، العبر، ج٥، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، ص ١٣.

(٣) المقدسي، أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال بن تميم بن سرور (٧٦٥هـ / ١٣٦٣م)، مثير الغرام بفضائل القدس والشام، مكتبة الظاهر إخوان، يافا، ص ٦٤.

(٤) الذهبي، العبر، ج٥، ص ٢٧٩، الصفدى، الوافي، ج٨، باعتناء محمد يوسف نجم، فرانز شتايز بفيسبادن، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص ٢١٧ – ٢١٨.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٢١٢ – ٢١٣.

تصدَّر لإقراء القرآن العظيم وإفادة علم العربية، ولما خرب البيت المقدس سنة (٦١٦هـ / ١١٦٩م) انتقل إلى دمشق وسكنها إلى أن مات سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)[١]. ومن قراء القدس كذلك أبو علي حسن بن أحمد بن يوسف مقرئ المسجد الأقصى[٢]، والأبرقوهي الشافعي أحمد بن إسحاق ابن محمد بن المؤيد الشيخ الإمام المقرئ الصالح شهاب الدين أبو المعالي أحمد بن القاضي المحدث رفيع الدين الشافعي الصوفي[٣].

ويلي رتبة القُراء المؤذنون والقَوَمة، وقد رتَّب صلاح الدين بعد فتح القدس، أئمة ومؤذنين وقَوَمة[٤]، فمن أئمة القدس الإمام إسماعيل بن محمد بن يوسف المغربي المعروف بالبرهان[٥]، وقد شهر بتدينه وكرم أخلاقه وحسن قناعته، وكان إماماً بالصخرة الشريفة، وبقي إماماً إلى أن سُلِّم البيت المقدس إلى الفرنج سنة (٦٤٢هـ / ١٢٤٤م) فلما استعاد المسلمون البيت المقدس رُتِّب في إمامة الصخرة غيره، فأقام مجاوراً لبيت المقدس، وأنشد لنفسه أبياتاً قالها، وذكر أنه كتبها على حائط كنيسة صهيون بالقدس بعدما خربت:

بني الديار وقف في ربعها الخالي

لا يوحشك فهو العاطل الحالي

واستسقه القصر والثم تربه

سحبت أديالها في ثراها ربة الخالي[٦]

أما عن مؤذني القدس، فلدينا ذكر للمؤذن عبد الكريم الذي كان يتمتع بصوت

---

(١) ابن العديم، كمال الدين، (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م،) بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٥، مصور عن نسخة مكتبة أحمد الثالث ورقة ١٤٦، ١٤٨.

(٢) المصدر ذاته، ورقة ١٩٨.

(٣) الصفدي، الوافي، ج٦، باعتناء س. ديدرينغ، فرانز شتايز بفيسبادن، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ص ٢٤٢.

(٤) العماد، الفتح، ص ١٤٥، أبو شامه، الروضتين، ج٢، ص ١١٤.

(٥) توفي البرهان سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، ابن العديم، بغية، نسخة باريس، ورقة ١٢٥.

(٦) المصدر ذاته.

حسن، وهو المؤذن الذي أذّن وقت أخذ الانبرور مدينة القدس سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) وقد قرأ هذا المؤذن آيات تخص النصارى، فلامه القاضي شمس الدين قاضي نابلس على ذلك، فامتنع المؤذن عبد الكريم من القيام بمهمته في الليلة الثانية، فافتقده الانبرور، ولام القاضي على ذلك، ثم طلب عبد الكريم وأعطاه مائة دينار[١].

كذلك عرف مؤذن القدس المشهور بديك العرش، وكان هذا مسناً، وابتُلي بمرض طويل توفي على أثره سنة (٦٤٢هـ / ١٢٤٤م)[٢].

(١) الداوداري، كنز الدرر، ج٧، ص ٢٩٤.

(٢) أبو شامه، الذيل، ص ١٧٤.

٣- خلاصة:

مما سبق نستطيع أن نقول إن الجهاز الإداري في مدينة القدس كان كغيره من الأجهزة الإدارية الموجودة في المدن والقصبات الصغيرة، فالجهاز الإداري يتكون من الوالي الذي يجمع مع ولايته للمدينة والقلعة قيادة الحامية أو الجيش، ويتم تعيينه من قبل سلطان مصر حيناً ومن قبل ملك دمشق حيناً آخر، حسب قوة السلطان وامتداد سيطرته، ونظراً لأن الفترة كانت فترة استنفار جهادي، وخروج مستمر من الولاية للمشاركة في الحروب والقتال، فقد كان الوالي يعيِّن نواباً له، وليس نائباً واحداً، حيث إن بعض النواب كانوا يخرجون ويشاركون في الحروب كذلك، ومن المرجح أن النائب يتولى مهام الوالي طوال غيابه، ويلي النائب ناظر ديوان بيت المال ومهمته الإشراف على الدواوين المتعلقة بديوان بيت المال، وعدم خروج شيء من بيت المال إلا بعلمه وتوقيعه.

أما عن الوظائف الدينية فأولها: القاضي الذي كان يقلَّد بداية من قبل السلطان صلاح الدين ثم أصبح يُقلَّد حسب تبعية المنطقة، ونظراً لأن القدس تتبع دمشق فقد كان قاضي قضاة دمشق يعين قاضي القدس، وكما كان النائب ينوب عن الوالي، فقد كان نائب القاضي يتولى مهامه، لا سيما إذا كان القاضي قاضي عسكر يخرج مع السلطان في حروبه.

ويلي القاضي الناظر الشرعي الذي يكلف برعاية الأوقاف، سواء أكانت أوقافاً للحرم أم أوقافاً للمدارس والبيمارستان، أم أوقافاً للصوفية والمغاربة.

ويأتي بعد الناظر وكيل بيت المال، وتتعلق مهمته بمبيعات بيت المال ومشترياته، ويليه المحتسب الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصلح بين الناس.

وهناك وظائف أخرى لا يمكن إغفالها كالخطابة التي يسمّى صاحبها خطيب القدس، ويليه الإمام فالمؤذن ثم المشرف الذي يهتم بشؤون المسجد.



الفصل الرابع

العمران والسكان في مدينة القدس

١-مدينة القدس في عهد الفرنجة.

٢-العمران في العهد الأيوبي.

٣-السكان في العهد الأيوبي.

٤-خلاصة.



١-مدينة القدس في عهد الفرنجة ٤٩٢ - ٥٨٣هـ / ١٠٩٩ - ١١٨٧م:

تخطيط المدينة في تلك الفترة

١ - الأبواب والممرات

كانت الأسوار قبل عهد الفرنج محاطة بأسوار لها خمسة أبواب، هي: باب شعفاط (ستنا مريم)، والباب الذهبي (الرحمة) في الجهة الشرقية، وباب القديس اسطفان (العامود أو دمشق) في الجهة الشمالية، وباب داود (الخليل) في الجهة الغربية، وباب صهيون (النبي داود) في الجهة الجنوبية(١). وكان الدخول إلى المدينة يتم عبر هذه الأبواب، إضافة إلى المعابر التي عُدَّت ممرات سرية استخدمت لأغراض الدخول والخروج ولمهمات الدفاع العسكرية كممر البرص (باب الصرب) الواقع في الجهة الشمالية قرب مستشفى البرص الواقع غرب باب القديس اسطفان (دمشق) بـ ٣٠٠م، والمستخدم لدخول المصابين بهذا المرض إلى المدينة خوفاً من اختلاطهم بغيرهم من السكان، وممر آخر لم يعرف اسمه يقع يسار القصر الملكي غرب المدينة، وممر الدباغة (باب المغاربة) جنوب سوق الحلال في الزاوية الجنوبية الشرقية من القدس، وممر المعبد جنوب إسطبلات سليمان في أقصى الشرق، وممر القديسة مارى المجدلية قرب باب الساهرة، شمال شرق المدينة(٢).

(1) Michel Join – Lambert's, Jerusalem, trans charlotte Haldane, Elk books, London, 1378/ 1958, Map – Jerusalem in the time of the latin kingdom 12th century, P. 193.

(2) Ibid, Schaefer, Jerusalem, p. 122 – 123..

٢-المنشآت الرئيسية في المدينة

أ- القلعة والقصر الملكي

تعتبر القلعة أكبر منشأة بعد قبة الصخرة[١]، وهي تقع في الجهة الغربية من المدينة، وتشرف على بوابة داود المقامة بجانبها إلى الشمال[٢].

عرفت القلعة لدى الصليبيين باسم برج داود[٣]، ولدى المسلمين بمحراب داود[٤]، وبشكل دقيق فإن برج داود هو البرج الذي يقع في الزاوية الشمالية الغربية من مجمع القلعة[٥] التي تعد أكبر حجماً ومساحة وتحصيناً بما تتميز به من كتل صخرية وشرفات حصينة وبوابات حديدية، وبشكل غير منتظم متعدد الزوايا والأضلاع تصل مساحته إلى ٧٥٠م، تتفرع منه ستة أبراج؛ ثلاثة منها أو أربعة يصل ارتفاعها ٣٥م.

ترتبط القلعة بالمدينة بواسطة جسور، لكن ارتباطها بالقصر الملكي كما يبدو كان عبر ممرات أرضية تم تشييدها والقلعة منذ الفترة الإسلامية السابقة للفرنجة من حجارة شدت ببعضها، ليس فقط بواسطة الاسمنت، وإنما بالحديد والرصاص المصهور أيضاً.

يلي القلعة أهمية القصر الملكي[٦] الذي أقيم بعد سنة (٥١٢هـ / ١١١٨م) بقليل، وتم إنجازه على الأغلب قبل منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، حيث ربطت حدوده

(1) Schaefer، Jerusalem، p. 128.
(2) Lambert's، Jerusalem، Map، AuBrey stewart، M.A، the Palestin Pilgrims text society، London – Amspress 1312 / 1894، part 6، map of Jerusalem about 583 / 1187.

(٣) فوشيه، تاريخ، ص ٧١. رنسيمان، تاريخ، ج١، ص ٤٠٣.

(٤) العماد، الفتح، ص ١٤٥. العليمي، الانس، ج٢، ص ١٢.

(5) AuBrey، Map،

(٦) انظر موقعه لدى

Lamberts، Jerusalem، map.

الشمالية والشرقية والغربية مع أسوار القلعة، بينما لم يكن امتداده الجنوبي معروفاً بدقة.

أعدَّ القصر الملكي بمصادره الخاصة من المياه والخزانات ومستودعات الأغذية التي بلغ طول الواحد منها ١٧م[١].

ب- الكنائس والأديرة

كثرت الكنائس والأديرة والمعابد في مدينة القدس بشكل ظاهر في الفترة الصليبية، فكان منها قبة الصخرة التي حولت إلى معبد[٢]، كما أنشيء قريباً منها في الجانب الشرقي كنيسةٌ سميت بكنيسة يعقوب الأصغر[٣]، وعلى بعد منها وتحديداً إلى اليسار من الحرم في الحي الألماني كانت كنيسة الألمان، وإلى الغرب منها وجدت كنيسة صهيون قرب البوابة التي كانت تحمل الاسم ذاته، وفي حي الأرمن إلى الشمال منه وجد دير مارسابا، بينما وجدت جنوبه كاتدرائية القديس جيمس.

أما الجانب الغربي من المدينة فيضم كنيسة القيامة أكثر الكنائس شهرة، وكنيسة ماري اللاتينية، وماري الكبرى.

وبالابتعاد نحو الشمال وبجانب بوابة القديس اسطفان (دمشق)، نصادف كنيسة هذا القديس، وإلى الشرق منها نلاحظ كنيسة ماري المجدلية حيث تقع جنوبها مباشرة بانحراف قليل نحو الشرق قرب باب الأسباط اليوم كنيسة القديسة آنا (حنة)[٤].

(1) Schaefer, Jerusalem, p 128 – 130.
(2) Lamberts, Jerusalem, Map, AuBrey, Map. Arieh Sharon weiden feld and Nicolson Jerusalem, Planning Jerusalem, the old city and its Environs, Jophet Press, 1393 / 1973. p. 24 – 25.
(3) AuBrey, Map and Explanation of numbers on the map,
(4) Lamberts, Jerusalem, map.

ج- المستشفيات

كان يوجد في هذه الفترة مستشفى القديس يوحنا[1] الذي يقع إلى الشرق من بركة البطريك، شمال شارع داود وجنوب كنيسة القيامة، كما وجد مستشفى آخر أتخذ اسم مستشفى البرص في الناحية الشمالية من المدينة جنوب غرب بوابة القديس سان أسطفان[2]، خصص للحجاج المصابين بمرض البرص أو الجذام[3].

٣- الشوارع والأحياء

تعد بوابات مدينة القدس نهايات لشوارع تخترقها من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، أهمها شارع داود الواقع غرب المدينة قرب بوابة داود، الذي يسير مستقيماً ومن ثم يرتبط بشارع المعبد حتى البوابة الجميلة.

وبالاتجاه جنوباً نجد شارع صهيون قريباً من بوابة صهيون، ومساره شمالاً حتى شارع القديس اسطفان، حيث يتفرع منه شارع آخر يميل نحو الشرق يسمى شارع الإسبان (الواد) ويأخذ مساراً مستقيماً ثم يتصل بشارع الفراء الذي ينتهي عند سوق الماشية.

تعتبر الشوارع سالفة الذكر شوارع رئيسية في المدينة، وهناك شوارع أقل مركزية منها: شارع كنيسة القيامة شمال الكنيسة وامتداده من برج تانكرد حتى شارع القديس أسطفان، وشارع الأرمن غرب الحي المعروف بهذا الاسم، وشارع القوس إلى اليمين منه حيث ينتهي عند دار الصرافة اللاتينية، وشارع الألمان غرب النزل الألماني في الحي المعروف بحي الألمان، وشارع شعفاط الذي يبدأ من بوابة شعفاط وينتهي عند شارع الإسبان[4].

---

(١) بنيامين التطيلي، رحلة، ص٩٩، "هامش٤".

(2) Lamberts، Jerusalem، mapm Aubrey، Map.

(3) Schaefer، Jerusalem، p. 122.

(4) Lamberts، Jerusalem، map.

هذه الشوارع مستقيمة تقريباً، وتتقاطع داخل المدينة، لكن ليس بالضرورة أن ينطبق ذلك على جميع الشوارع الفرعية، غير أن الصفة الغالبة عليها أنها مبلّطة وبعضها مسقوف[1].

ساعدت الشوارع الرئيسية في المدينة على تقسيمها إلى أحياء، كان أبرزها حي النصارى الشاميين الذين كان حده الخارجي يمتد من باب القديس أسطفان من الجهة الشمالية من السور حتى الزاوية الشمالية الشرقية منه، حيث برج اللقلق والمنطقة التي دخل منها الفرنج القدس، والتحصينات الجديدة التي عرفت بتحصينات القديسة مريم المجدلية، ومن هذه الزاوية كان امتداد الحدود الشرقية للحي متخذة المسار الجنوبي مع الأسوار حتى تصل إلى باب شعفاط الواقع خارج أسوار الحرم من الجهة الشمالية.

أما الحد الداخلي فيبدأ من هذه البوابة ويسير مع الشارع العام المسمى باسم هذه البوابة، ويتجه غرباً إلى أن يلتقي مع شارع الإسبان، ثم يسير مع هذا الشارع ويتجه نحو الشمال الغربي حتى يصل إلى باب القديس أسطفان[2].

ويبدو أن كنيسة القديسة حنّة لم تكن ضمن حدود هذا الحي؛ إذ كانت كنيسة للاّتين، وبالتالي لم تخدم السكان من النصارى الشرقيين، ولذلك أقيمت فيه كنيسة القديسة مريم المجدلية لسكان الحي الجديد من الأرثوذكس[3].

وبالإمعان جنوباً نجد حياً آخر ربما كان آخر الأحياء المنشأة، وهو حي الألمان، ويضم شارعاً ونُزُلاً وكنيسة تابعة للألمان تقع جميعها شرق شارع جبل صهيون المنتهي عند بوابة صهيون[4].

(1) Schaefer, Jerusalem, p. 133.
(2) Lamberts, Jerusalem, map. Ahiyari, Crusader Jerusalem, p. 143.
(3) AHiyari, Crusader Jerusalem, p. 143.
(4) Arieh Sharon, Planning Jerusalem, p. 25.

وبجانب هذا الحي وفي الجهة الجنوبية الغربية من المدينة وحول كنيسة القديس جيمس شرق القصر الملكي الجديد أقيم حي الأرمن ليخدم هذه الجماعة.

أما من الناحية الغربية الشمالية فيقع حي البطريرك وهو أكبر أحياء المدينة، وقد حدد المؤرخ الفرنجي المشهور وليم الصوري حدوده كالتالي: "يتكون الحد الخارجي للحي من سور المدينة الذي يمتد من الباب الغربي أو باب داود (الخليل) مروراً بالبرج الذي يقع في الزاوية الجنوبية الغربية والذي يعرف في عصر المؤرخ ببرج تانكرد، ويمتد إلى الباب الشمالي الذي يعرف باسم الشهيد أسطفان (باب العمود أو باب دمشق). أما الحد الداخلي للحي فيتكون من الشارع العام الممتد من باب القديس أسطفان حتى مكان صرافي النقود (شارع القديس أسطفان في الفترة الفرنجية الصليبية) الذي يتجه مع الطريق العام الممتد إلى الباب الغربي"[1].

٤-الأسواق

كان في مدينة القدس نوعان من الأسواق: أسواق الجملة وموقعها قرب بوابات المدينة، وأسواق المفرّق في الوسط، على طول طريق القديس أسطفان شمال شارع داود. وبالنسبة للنوع الأول وهو تجارة الجملة، فقد كان فيه ثلاث أسواق لسلع مختلفة، أولها سوق الحبوب إلى الشمال الغربي من بوابة داود على طول سور المدينة، وبالتحديد قرب القلعة، وثانيها سوق الحلال جنوباً بمحاذاة معبر الدبّاغين حيث كانت تذبح فيه أنواع الماشية المختلفة، بينما تنظف الجلود وتصبغ إلى الشمال من هذا السوق، وعلى الأرجح في الشارع الذي يسمى بشارع الفراء، وحينما نتجه نحو شارع المعبد نجد سوق الجملة الثالث المقام قرب النهاية الشمالية للسوق الثلاثي مجاوراً لدار الصرافة السريانية شرق كنيسة القيامة عند تقاطع الشارع المؤدي إلى كنيسة القيامة وشارع القديس

(1) William Arch bishop of tyre، A history of Deeds Done Beyond the sea، Translated، Emily At water BaB cook and A.G. Kery، Copyright 144 Columbia University، New York 1396 / 1976، Volume one، p. 407 – 408.

أسطفان، حيث تتم فيه تجارة الطيور الحية وخاصة الدجاج، وبيع البيض(١).

وفيما يتعلق بتجارة المفرق الواقعة في شارع القديس أسطفان شمال شارع داود(٢)، فهي مكونة من ثلاثة أسواق توجد فيها المحلات التجارية المبدوءة من شرق كنيسة القيامة حتى شارع داود، وقد سميت هذه الأسواق مع بعضها السوق الثلاثي المسقوف. نظراً لأن ثلاثتها مسقوفة(٣).

أما الحوانيت أو المحلات المفردة داخل الأسواق فتوصف بأنها صغيرة الحجم ومظلمة وضيقة وكأنها كهف، لا تتعدى مساحة أرضها ٤م٢، أقيمت أمامها شرفات تمتد إلى الإمام بمسافة ١م وترتفع قرابة ١٠سم، حيث يتم فيها نشر البضائع واستقبال الزبائن(٤).

وإذا أردنا مقارنة أسواق الجملة بأسواق المفرّق، فإننا نعتبر الأخيرة ذات موقع استراتيجي يطل على الشوارع الرئيسية حيث كثافة السكان، ويعمل على استقطاب الأوروبيين وخاصة النصارى منهم، كون هذه الأسواق قريبة من حي البطريرك الذي تتوسطه كنيسة القيامة، إضافة إلى عامل آخر وهو أن أسواق المفرق تحوي البضائع المختلفة التي يستطيع المرء التزود بها دونما الحاجة إلى قطع مسافات طويلة، من أجل الحصول على البضائع المتنوعة.

(1) Schafer, Jerusalem, p. 149 – 150. Lambert, Jerusalem, map.
(2) Schafer, Jerusalem, p. 150.
(3) AuBrey, Palestine, p. 6 – 7., 11.
(4) Schafer, Jerusalem, p. 151 – 153.

• **العمران والسكان:**

أ-العمران

بدأ الاحتلال الصليبي لمدينة القدس سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م وانتهى في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، أي أنه امتد ثمانياً وثمانين سنة، أسس الفرنجة أثناءها مملكة لاتينية جعلوا مدينة القدس عاصمة لها، واهتموا بها غاية الاهتمام، كونها أصبحت مدينة عالمية يؤمها الحجاج كل سنة من مختلف الجنسيات الأوروبية، وعنوا بالجانب العمراني فيها، فعمدوا إلى تغيير بعض العمائر والأبنية الإسلامية التي لم تعد تخدم أغراض الصليبيين والجنسيات الأوروبية، واستحدثوا أبنية جديدة تلبّي متطلبات الحياة التي عاشتها المدينة آنذاك، وكانت الأسوار والتحصينات التابعة لها كالأبراج الأمر الأول الذي اهتم به الصليبيون، كون الأسوار خط دفاع يحفظ المدينة من المهاجمين والغزاة، لذلك عمل الصليبيون على تقوية السور الشمالي المحيط بالمدينة، لضعف هذه المنطقة، فكان السور محاطاً بخندق ممتد على طوله. وجرى تشييد الأبراج كبرج تانكرد في الزاوية الجنوبية الغربية من الأسوار إلى الشمال من بوابة داود، إضافة إلى برجين تم بناؤهما بجانب باب صهيون[1]، وتم تحصين منطقة القديسة مريم المجدلية في الزاوية الشمالية الشرقية من الأسوار، وحولت المدرسة الشافعية الواقعة إلى الشمال من بوابة شعفاط إلى كنيسة عرفت باسم كنيسة القديسة حنة (آنا)[2].

أما المسجد الأقصى فقد أنقص حجمه إلى الحجم الموجود الآن[3]، وجُعِل قسم منه كنيسة[4]، وقسم آخر إلى الغرب منه مسكناً لفرسان الداوية[5]، وقاعدة حربية

(1) Schafer, Jerusalem, p. 122, 127.
(2) Ahiyari, Crusader Jerusalem, p. 141.

(٣) لي سترانج جي، فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة محمود عمايرة، ط١، وزارة الأوقاف والإعلام الأردن، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص ١٢٢.

(٤) أسامة بن منقذ، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن منقذ الشيرزى الكتاني (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) الاعتبار، تحقيق قاسم السامرائي، دار الأصالة، الرياض، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ١٥٣.

(٥) الداوية: جمعية تأسست عام (٥١٣هـ / ١١١٩م)، لحماية طريق الحجاج المسيحيين بين يافا والقدس، ثم تحولت إلى هيئة حربية دينية. المقريزى، السلوك، ج١ ق١، ص ٦٨ "بالهامش".

ومستودعاً للغلال والطعام[1]، كما اتخذوا من الأقبية الموجودة تحته إسطبلات لخيولهم[2].

وعُدّت الصخرة المقدسة المعبد الحقيقي للصليبيين، فحوِّلت إلى كنيسة[3]، ووضع فوقها صليب مذهَّب كبير، وزُيِّنت بالصور والتماثيل[4]، وأحيطت بدرابزين من حديد مكان درابزين الرخام المزخرف. أمّا الأماكن الدينية المسيحية وأبرزها كنيسة القيامة، فقد وُسِّع بناؤها وأضيف صحن وممرات للقبة التي كانت قائمة في ذلك الوقت[5].

ومن إضافات البناء التي تمت داخل أسوار مدينة القدس الفنادق التي بنيت لتؤوي حجاج النصارى من مختلف الجنسيات الأوروبية والشرقية في مختلف أنحاء المدينة، والكنائس والأديرة للرهبان والراهبات[6].

ب- السكان

قبل احتلال الصليبيين لمدينة القدس، أجبر النصارى المقيمون فيها على مغادرة البلاد إلى الأرياف القريبة، خوفاً من تعاونهم مع الفرنج، خاصة وأن نصارى بيت لحم كانوا قد أرسلوا وفداً منهم إلى الرملة، حيث كانت الحملة قد احتلتها وطلبوا منهم الإسراع في تسليم البلدة[7].

أما المسلمون واليهود، فلم يعد لهم مكان في المدينة بعد احتلالها، حيث تم التخلص

---

(١) السيوطي، أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين بن عبد الخالق المنهاجي شمس الدين (ت ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م)، إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى، ق٢، تحقيق: أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، ص ١٨٤.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٢١٧.

(٣) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ١١٣. ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٢٢٩.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٢١٧.

(٥) لي سترانج، فلسطين، ص ١٣٥، ١٨٣.

(6) A. Hiyari, Crusader, Jerusalem, p. 141.

(٧) فوشيه، تاريخ، ص٧٠. رنسيمان، تاريخ، ج١، ص ٣٩٤، ٤٠٥.

منهم عن طريق القتل أو الطرد أو الحرق[١]، وحلَّ محلهم الفرنجة الذين شاركوا في الاستيلاء على المدينة، غير أن معظم هؤلاء لم يتخذوا القدس موطناً لهم، لأن قسماً كبيراً ممن دخل المدينة فاتحاً أو زائراً أو حاجاً غادرها بعد أن حقق هدفه بفترة قصيرة، كما أن فرص الحصول على سبل العيش في القدس كان قليلاً مقارنة مع المدن الساحلية أو الأرياف، إضافة إلى فقدان الأمن والذعر الدائمين.

هذه العوامل جعلت الهجرة من المدينة مستمرة، وأدت إلى تناقص أعداد الفرنجة بشكل ملحوظ، الأمر الذي حدا بالملك بلدوين الأول ملك بيت المقدس (٥٠٤ – ٥١٢هـ / ١١١٠ – ١١١٨م) أن يرسل إلى نصارى شرق الأردن يرغِّبهم في الحضور، والاستمتاع بالحياة الأفضل. ويظهر أن هذا الأسلوب شجعهم على القدوم، وجعل الملك المذكور يخصص لهم حيّاً محاذياً للسور الشمالي سمي بحي النصارى السوريين أو الشاميين، وكان هذا الحي مع حي البطريرك الذي سكنه الأوربيون المحتلون يشكلان أكبر أحياء المدينة وأكثرها كثافة بالسكان[٢].

وبالإضافة إلى هذين الحيَّين، فقد استوطنت المدينة أعدادٌ من الأرمن والألمان في أحياء سبق أن تم تحديدها، كذلك وجدت مجموعات من الإسبان والمجريين والأقباط واليونان والبلغار واللاتين، والاسكتلنديين والبريطانيين والبوهميين، والكرج والهنود والموارنة والمصريين وغيرهم[٣]، ويبدو أن استيطان هؤلاء في المدينة جعل الكثافة السكانية فيها كبيرة، حيث قدر مجموعها بـ ١٠ آلاف نسمة[٤].

---

(١) فوشيه، تاريخ، ص ٧٥.

مجهول، أعمال، ص ١١٨ – ١٢٠.

ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي، (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م)، المذيل على تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار حسان، دمشق ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٢٢.

(2) A. Hiyari, Crusader Jerusalem, p. 142 – 143.

(3) Schafer, Jerusalem, p. 118.

(4) A. Hiyari, Crusader Jerusalem, p. 174.

٢ - العمران في العهد الأيوبي

حينما فتح صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس عام (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) جعل هدفه الأساسي إعادة الطابع الإسلامي للمدينة، وتغيير كل ما يدل على العاصمة اللاتينية من منشآت عمرانية، ويمكن تلخيص الأمور التي قام بها السلطان صلاح الدين بثلاث نقاط هي:

١-تطهير المدينة من بعض الإضافات التي استحدثها الصليبيون خاصة في الأماكن الإسلامية المقدسة.

٢-إعادة بناء أبراج المدينة وأسوارها وتقويتها.

٣-تحويل بعض المباني المسيحية لأغراض إسلامية وبناء المباني من أجل الغاية نفسها.

اهتم السلطان بداية بمنطقة الحرم الشريف، فعمل على إزالة المنشآت والمظاهر العمرانية التي أقامها الداوية فيه، مثل الكنيسة وقاعة الطعام وأماكن السكن في المسجد الأقصى، والصور والرسوم داخل قبة الصخرة(١)، والصليب الذي كان فوقها(٢)، كما قلع الرخام الذي أحيط بها(٣)، وثبتت أركانها وحُفظت شبابيكها بالحديد(٤)، ثم نظفت المنطقة كلها بالماء، ومنطقة الصخرة خاصة بماء الورد الذي أحضره الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب(٥) من بلاد حماة وغيرها لهذه الغاية(٦).

---

(١) العماد، الفتح، ص ١٣٧، ١٤١، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ١٠٧ – ١٠٨.

(٢) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٩٢، ابن التركماني، دول، ج٢، ص ٧٠.

(٣) ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٢٢٩.

(٤) العماد، الفتح، ص ١٤١، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص١١٤.

(٥) الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه (ت ٥٨٧هـ / ١١٩١م) انظر: ترجمته: أبو الفداء المختصر، ج٣، ط١، ص ٨٠.

(٦) العماد، الفتح، ص ١٤٣.

وتم كشف الجدار الساتر لمحراب المسجد الأقصى وترخيمه[١]، ووضع مكانه محراب آخر كان نور الدين زنكي قد أمر بعمله في حلب وجعله للمسجد الأقصى، فأحضر من دمشق ونُصِب بدل المحراب القديم[٢].

وحينما انتهى السلطان من تطهير الحرم الشريف، قام بتعيين الخطباء والأئمة والقراء والمؤذنين[٣]، وعين كذلك والياً للقدس وحامية في البرج والقلعة بغية حمايتها وحماية المدينة[٤].

ولم يوجه السلطان اهتمامه فقط نحو الأماكن الإسلامية، بل تعداه إلى المواضع التي تخص الفرنج، ومنها المقابر المجاورة للصخرة وباب الرحمة في منتصف الجدار الشرقي للحرم الشريف، والقباب المعقودة بجانبها حيث عمد السلطان إلى إزالتها[٥].

ثم جرت مشاورات بين السلطان وأصحابه حول هدم كنيسة القيامة، فاستقر الرأي على إبقائها كما هي، لأن هدمها لن يقف حائلاً دون توجه النصارى إليها، كونهم يقدسون مكانها لا بنائها[٦]، وأعيدت كنيسة القديسة حنة (آنا) في الجهة الشمالية من الحرم قرب باب الأسباط دار علم سميت بالمدرسة الصلاحية أو الناصرية تخصصت في تدريس الفقه الشافعي[٧]، وأوقف قصر بطريرك الفرنج شمال غرب كنيسة القيامة رباطاً للصوفية[٨]، كما وقفت كذلك كنيسة في مجمع الإسبتارية غرب المدينة وقرب شارع داود مارستاناً للمرضى زود بالعقاقير والأدوية المختلفة[٩].

---

(١) المصدر ذاته، ص ١٣٧، ١٤٣.

(٢) ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٢٢٨ — ٢٢٩، هامش ٩.

(٣) العماد، الفتح، ص ١٤٠ — ١٤٢.

(٤) المصدر ذاته، ص ٦١١ — ٦١٢.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٢٣٠. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص ٣٢٧. الدواداري، كنز، ج٧، ص ٩٠.

(٦) العماد، الفتح، ص ١٤٥ — ١٤٦. أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ١١٥.

(٧) العماد، الفتح، ص ٦١٢، أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص ٨٣.

(٨) العماد، الفتح، ص ٦١٢.

(٩) المصدر ذاته، ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٤٠٨.

كانت هذه الأمور ضرورية من وجهة نظر صلاح الدين الأيوبي وأكثر إلحاحاً من بناء تحصينات المدينة وتقوية الأسوار، لا سيما وأنه لم يكن هناك من خطر مباشر يتهددها، إضافة إلى المال والوقت الذي قد يتطلبه تحصين المدينة، مما يؤدي إلى عودة الفرنج من جديد وسيطرتهم على المناطق التي جرى تحريرها من قبل المسلمين، أدى ذلك إلى تأخر السلطان في استكمال الجهود الحربية مدة تزيد على ثلاث سنوات لم يتمكن بعدها من القضاء على الفرنج الموجودين في الساحل الممتد من أنطاكيا إلى صور جنوباً، مما جعل خطر عودتهم إلى فلسطين ممكناً، لا سيما وأنهم قاموا بحصار مدينة عكا مستعينين على ذلك بالفرنج الذين قدموا مع الحملة الصليبية الثالثة[١]، فكان تحصين مدينة القدس بعد هذا أمراً ضرورياً جعله السلطان صلاح الدين مقدماً على باقي الأمور، فبدأ بتقسيم الأسوار على أولاده وأخيه الملك العادل وأمرائه، وأنشأ سوراً جديداً بالحجارة الكبار وعمَّق الخنادق، ويحدثنا شاهد عيان عن ذلك فيقول:

"وأول ليلة حضرته وجدت مجلساً حفلاً بأهل العلم يتذاكرون في أصناف العلوم، وهو يحسن الاستماع والمشاركة، ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق، ويتفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع، وكان مهتماً في بناء سور القدس وحفر خندقه، يتولى ذلك بنفسه، وينقل الحجارة على عاتقه، ويتأسى به جميع الناس: الفقراء والأغنياء والأقوياء والضعفاء، حتى العماد والكاتب والقاضي الفاضل، ويركب لذلك قبل طلوع الشمس إلى وقت الظهر، ويأتي داره، ويمد الطعام، ثم يستريح ويركب العصر، ويرجع في المساء، ويصرف أكثر الليل في تدبير ما يعمل نهاراً"[٢] وقال له بعض الصناع: هذه الحجارة تقطع من أسفل الخندق ويبنى بها السور رخوة قال: نعم، هذه تكون الحجارة

= ابن الفرات، تاريخ، م٤، ج٢، ص ٨٩.

(١) العماد، الفتح، ص ٥١٣، ٥١٥.

(٢) عبد اللطيف البغدادي، (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م)، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق: أحمد غسان سبانو، ط١، دار قتيبه، دمشق، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ١٥١.

التي تلي القرار والنداوة[1]، فإذا ضربتها الشمس صلبت"[2].

وعمل صلاح الدين على بناء الأجزاء المتهدمة من الأسوار، وتم حفر خندق في الجهة الشمالية، من المدينة، وأعيد استخدام حجارة الخندق المحفور في تجديد الأبراج الحربية الممتدة من باب العامود شمالاً حتى باب المحراب (داود) غرباً، وقد ساعد جماعة من الحجَّارين قدموا من الموصل عددهم يقارب الخمسين في تعميق حفر الخندق وقطع الحجارة من الصخور[3] ولعل قدوم هذه الجماعة دون غيرها عائد إلى شروط الصلح التي عقدت سنة (٥٨١هـ / ١١٨٥م) بين صلاح الدين الأيوبي وصاحب الموصل عز الدين مسعود؛ إذ تعهد الأخير بالمشاركة بعساكره وأمواله في الجهاد الذي يقوده صلاح الدين ضد القوى الصليبية في بلاد الشام[4]، وعندما سمع عز الدين بفتح القدس، وعزم السلطان على تحصين أسواره وتعميق الحفر، وإنشاء خندق جديد، رأى أن من واجبه تبعاً لشروط الصلح أن يساهم بعمل يظهر حسن نيته، فقام بإرسال هؤلاء الرجال، وأرسل إليهم كذلك رواتبهم طوال الأشهر التي استغرق العمل فيها ببيت المقدس، كما ساعد ألفا أسير من الفرنج في هذا العمل[5]، وحينما انتهى السلطان من تحصين الأسوار وبناء الأبراج توجه نحو عمارة المنشآت الأقل أهمية كبناء الزاوية الختنية بجوار المسجد الأقصى وخلف المنبر، حيث تم وقفها على الزاهد جلال الدين محمد الشاشي المجاور لبيت المقدس[6].

ولم يكن النشاط العمراني في هذه الفترة مقتصراً على السلطان صلاح الدين الأيوبي،

---

(١) النداوة، مصدر من الندى، ندى الماء، أنظر: ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد ابن مكرم، (ت ٧١١هـ / ١٣٩١م)، معجم لسان العرب، م١٥، دار صادر، بيروت، ١٣٠٠هـ / ١٩٠٠م، مادة ندي، ص ٣١٤.

(٢) الذهبي، تاريخ، شريط رقم ٣٠١، ورقة ٥٩.

(٣) العماد، الفتح، ص ٥٦٥.

(٤) رشيد الجميلي، دولة الأتابكه في الموصل بعد عماد الدين زنكي (٥٢١- ٦٣١هـ / ١١٢٧ – ١٢٣٣م)، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ص ١٦١.

(٥) العماد، الفتح، ص ٥٦٥.

(٦) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٣٤.

بل شاركه في ذلك آخرون كالملك العادل الذي قام بتحصين الجزء الجنوبي الغربي من الأسوار الواقع على جبل صهيون، حيث تم إدخال الكنيسة المعروفة بكنيسة صهيون والأبنية حولها بمقدار رميتي سهم في السور الجديد[١]، وعمل كذلك على بناء المطهرة في الجانب الغربي من الحرم خارج باب المطهرة لتمد أهالي القدس بالمياه[٢].

وبجانب هذا تم بناء الكأس بين الصخرة والأقصى، وهو حوض مستدير من الرخام مملوء بالماء وفي وسطه نافورة تشبه الكأس يخرج منها الماء[٣].

استمرت العمارة بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي فأقيمت المدرسة الميمونية عند باب الساهرة،[٤] وأعيد بناء قبة المعراج الواقعة على يمين الصخرة والصحن من جهة الغرب على يد والي القدس عز الدين عثمان بن علي الزنجبيلي (٥٩٧-٦٠٤هـ ظناً سنة ١٣٠٠ – ١٢٠٧م)[٥] وشارك أبناء صلاح الدين وأمراؤه في عمران المدينة المقدسة كذلك، فأنشأ الملك الأفضل نور الدين علي المدرسة الأفضلية بحارة المغاربة، وكانت تعرف زمنة بالقبة، ووقفها على فقهاء المالكية[٦]، كما أنشأ المسجد العمري جنوب ساحة كنيسة القيامة غرب المدينة[٧]، وتم بناء المدرسة الجراحية بظاهر القدس من جهة الشمال، ونسبت المدرسة لواقفها الأمير حسام الدين بن شرف الدين عيسى، أحد أمراء صلاح الدين[٨].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٢، ص ٨٦ – ٨٧.

(2) Van, CIA. Vol. 44A, p1.3.
Archibald Gwalls, Arabic Inscriptions, p.9

(٣). كامل العسلي، من آثارنا، ص ٢٢٩.

(٤) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٤٨.

(٥) المصدر ذاته، ص ١٩ – ٢٠.
Archibald Gwalls, Arabic Inscriptions, p. 16.

(٦) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٤٦.

(٧) المصدر ذاته
Archibald Gwalls, Arabic Inscriptions, p. 8

(٨) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٤٨.

ولم تقف العمارة عند هذا الحد، بل إنها زادت تقدماً بفضل الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر، حيث قام ببناء صهريج في ساحة الحرم جنوبي الدرج الغربي الأوسط لصحن الصخرة وملاصقاً له،(١) وبنى القناطر(٢) والأروقة ومنها الرواق الشمالي عند مدخل المسجد الأقصى والمؤلف من سبعة عقود كبيرة،(٣) وأنشأ المدرسة المعظمية شمالي الطريق المؤدية إلى باب الأسباط، والمدرسة النحوية على آخر صحن الصخرة من جهة القبلة(٤)، وقبة داخل الحرم الشريف وقف عليها وقفاً جليلاً(٥)، وفي عهده -كما يعتقد- أنشئت سقاية قاسم بن عبد الله في ساحة الحرم(٦) وتم تجديد الأبواب الخشبية عند مدخل الأقصى(٧)، وإقامة سبيل الشعلان أسفل الدرج الشمالي من الحد الغربي لصحن الصخرة المشرفة(٨)، وتأسيس المدرسة البدرية نسبة لبدر الدين الهكاري في الحي المعروف بحي الواد(٩).

وبالرغم من أن العمارة في زمن المعظم بلغت أوجها، إلا أنها ما لبثت أن تراجعت إبان حكمه، وتفاصيل ذلك أن المعظم حينما أحس بخطر الصليبيين سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م، وهو في دمياط يساعد أخاه الكامل في صد هجومهم، اعتقد أن الفرنج عندما يسمعون باستيلاء إخوانهم على الديار المصرية سيسارعون حتماً إلى التوجه نحو الشام، وإعادة السيطرة على القدس، فأمر المعظم بخراب أسوار القدس ودوره وفنادقه، وأبراجه عدا برج داود ومسجد الصخرة وجامع الأقصى وكنيسة القيامة، وكانت القدس وقتها من أحصن المدائن وأتمها عمارة، وكان كل برج نظير قلعة من حيث العظمة.

---

(1) Van, CIA. Vol. 44A, p. 71.
(2) Ibid. p. 73.
(3) Ibid. p. 83.

(٤) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٣٤، ٤٢

Archibald Gwalls, Arabic Inscriptions, p. 9, 16.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٢١١.

(6) Van, CIA, Vol. 44A, p. 72.
(7) Ibid, p. 58, 104.
(8) Van, CIA Vol 44A, p 98.

(٩) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٤٧.

ولم يكن هذا هو الحادث الوحيد الذي توقفت العمارة على أثره، بل تبعه حادث آخر (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) وهو تسليم الملك الكامل القدس سلماً لإمبراطور ألمانيا فردريك الثاني بشروط أبرزها: عدم تجديد عمارة القدس وبقائها خراباً، غير أن هذا الشرط لم ينفذ من قبل الفرنج فعمدوا إلى تعمير قلعة في القدس جعلوا برج داود أحد أبراجها، فأثار ذلك الملك الناصر داود، وجعله يتجه إلى القدس وينصب المجانيق على القلعة ويخرب برج داود ثم يستولي على المدينة فترة قصيرة يعاود بعدها الفرنج احتلالها سنة (٦٤١هـ / ١٢٤٣م) ثم لا تلبث أن تنتقل منهم إلى الخوارزمية سنة (٦٤٢هـ / ١٢٤٤م)[١].

ومن المنتظر أن تخرب المنشآت العمرانية في تلك الفترة، لكننا نراها تعود مزدهرة بعض الشيء في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي تسلم مدينة القدس فأعاد عمارة بعض أسوارها[٢]، كما أمر بعمارة القبة الواقعة تجاه السلسلة وبالرغم من الحرم الشريف المعروفة بقبة موسى، وصرف المال الكثير على كل ذلك[٣]، ورغم هذا فإن المدينة لم تعد عمرانياً إلى سابق عهدها كما كانت زمن صلاح الدين الأيوبي ومن جاء بعده.

كانت هذه أبرز التغيرات العمرانية التي حصلت في أثناء فترة احتلال الأيوبيين للمدينة المقدسة، أما التغيرات السكانية فقد تمثلت بإنشاء أحياء جديدة أهمها:

حي المسلمين، وحي اليهود، وحي المغاربة وحي شرف أو الأكراد إضافة إلى استحداث محلات قرب أبواب الحرم الشريف.

---

(١) انظر تفصيل هذه الأحداث في الفصل التاريخي من هذا البحث.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق٢، ص ٧٦٤، ابن التركماني، دول، ج٢، ص ١١٣.

(٣) العليمي، الأنس، ج٢، ص٢١.

Archibald Gwalls، Arabic Inscriptions، p. 16.

٣- السكان في العهد الأيوبي

عقب الفتح الصلاحي لمدينة القدس، خرج البطرك الكبير ومن معه من الفرنج من المدينة، بعد دفع الفدية التي حُددت في عهد الأمان،[1] فأصبحت المنطقة التي كانت تسمى بحي البطريرك خالية من اللاتين، وحل محلهم النصارى المحليون الذين بقوا في المدينة كذمة للمسلمين بناء على طلبهم وموافقة السلطان على ذلك[2]، وكان هؤلاء من الطائفة الأرثوذكسية التي سكنت بداية في حي النصارى السوريين أو الشرقيين، ثم رحلت غرب المدينة وأقامت حول كنيسة القيامة، وإلى الجنوب الغربي من سكنى النصارى، بقي الحي الأرمني موطناً لطائفة الأرمن، وأنشئت إلى الشرق منه ثلاثة أحياء جديدة:

١- حي اليهود

في الربع الجنوبي الشرقي من المدينة، حيث تم فيه توطين اليهود بعدما سمح السلطان صلاح الدين لهم بذلك.

٢- حي شرف أو الأكراد

يقع شرق الحي اليهودي وغرب حي المغاربة، ويعتقد أن صلاح الدين[3] خصَّصه لأكابر الأكراد[4] أو كبار رجال الدولة الذين صحبوه في فتوحه ممن استوطن القدس.

٣- حي المغاربة

---

(١) العماد، الفتح، ص ١٣٥، ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٥٥١.

(٢) العماد، الفتح، ص ١٣٦.

(3) Al-Tibawi, the Islamic pions foundations in Jerusalem, the Islamic cultural center, London 1398 / 1978, Map. I.

(٤) أخذنا بذلك بعد قراءة حدود الحي ورؤيتها على الخارطة حيث يحد الحي غرباً دار الإمام شمس الدين قاضي القدس الشريف، ودار الأمير عماد الدين بن موسكي ثم دار الأمير حسام الدين قيماز انظر== == سجل ٧٧ شريط ٥٠٢ ص ٥٨٨.

يشغل الجزء الجنوبي الغربي من المدينة مجاوراً للمسجد الأقصى والصخرة ومنطقة البراق الشريف شرقاً، والحي اليهودي غرباً، وسور القدس (باب المغاربة) جنوباً، وباب السلسلة شمالاً[١]، أقيم هذا الحي للمغاربة الذين بدأوا بالقدوم حوالي سنة (٥٨٦هـ / ١١٩٠م)، عندما أرسل صلاح الدين يطلب معونتهم ضد الصليبيين، فتم إرسال الأساطيل المغربية مع عدد من الصناع والعمال والفقهاء، ولما انتهت مهمتهم بإبعاد خطر الصليبيين عن القدس أذن لهم صلاح الدين بالعودة إلى ديارهم، لكنه كان بحاجة إلى البعض منهم ممن كانوا بدورهم يفضلون البقاء بالشام استعداداً للطوارئ.

ولعل ذلك لم يكن كافياً لتمركز المغاربة بالقدس، فقد كانوا يشعرون بضرورة القيام بأول محاولة من نوعها في سبيل تملك العقار بتلك الديار، وكأنهم تنبهوا لما يهدد بيت المقدس من غزو آخر يكون على شكل اقتناء أراضي من أصحابها، لذا سألوا السلطان أن يجعل لهم مكاناً دائماً في القدس[٢]، فاستجاب السلطان لطلبهم وخصص لهم حياً اتخذ موقعاً متميزاً هدف من ورائه الحفاظ على منطقة البراق الشريف.

وبجانب الأحياء الثلاثة السابقة، أقيم حي رابع كان أكبر الأحياء في تلك الفترة وهو حي المسلمين، ويشغل الربع الشمالي الشرقي من المدينة، حيث تبدأ حدوده من باب العامود شمالاً حتى شارع باب السلسلة جنوباً، ومن هذا الشارع تبدأ الحدود الغربية للحي بينما تنتهي الحدود الشرقية عند باب السلسلة غرب الحرم الشريف[٣].

وفي حي المسلمين تم إنشاء بعض المحلات[٤] قرب أبواب الحرم الشريف وأبواب المدينة كمحلة باب العمود شمال المدينة، ومحلة باب حُطة شمال الحرم، ومحلة قطانين

(1) Al Tibawi, the Islamic pions foundations in Jerusalem, Map I.

(٢) عبد الهادي التازي، حي المغاربة، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، م١، عدد٣، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م، ص ٩، ١٣

(3) Al Tibawi, The Islamic Pions foundations in Jerusalem, Map I.

(٤) يبدو أن المحلات أكبر من الحارات كما يظهر في وقفية البيمارستان الصلاحي، محفوظات، شريط ٥٢٢، ص ٢٦، شريط ٦٠٢، ص ٤٥٣، شريط ٣٤٢، ص٥.

إلى الغرب منه[١]، ومحلة باب السلسلة جنوب باب المطهرة[٢].

ويرجح أن المسلمين كذلك أقاموا في مناطق أخرى غير المنطقة التي تم تحديدها بنسب أقل بعد إنشاء المدارس والخانقاة ودور العلم المختلفة في أنحاء المدينة.

كانت أحياء المدينة تضم المسلمين والنصارى والأرمن واليهود، إضافة إلى بعض الفئات القليلة كالكرج الذين سلبت دياراتهم وعماراتهم في القدس زمن الصليبيين، فبعثوا إلى صلاح الدين يبرزون له ظلامتهم هذه ويطلبون منه ردها إليهم[٣]، وكالأقباط والأحباش[٤].

وليس لدينا ما يشير إلى أعداد هؤلاء والفئات الآنفة بصورة دقيقة ومحددة، إلا أنه يعتقد أن السكان قد تزايد عددهم بعد الفتح الصلاحي للمدينة، وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي، ثم ما لبث العدد أن تناقص بشكل ملحوظ بعد الخراب الذي تم في عهد المعظم عيسى (٦١٦هـ / ١٢١٩م) وبعد قدوم الصليبيين سنة (٦٤١هـ / ١٦٤٣م) والخوارزمية سنة (٦٤٢هـ / ١٢٤٤م).

---

(١) محفوظات، شريط ٥٢٢، ص ٢٦، شريط ٦٠٢، ص ٤٥٣، شريط ٣٤٢، ص٥.

(٢) المصدر ذاته.

(٣) ابن شدّاد، النوادر، ص ٢٣٤.

(٤) خليل إبراهيم قزاقيا، تاريخ الكنيسة الرسولية الأورشليمية، مصر، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م ص ٨٠.

٤ - خلاصة :

يتضح من خلال حديثنا في هذا الفصل أن مدينة القدس في الفترة الصليبية اتخذت نمطاً تخطيطياً متميزاً، وجدت ملامحه في الأبواب والممرات والقلعة والقصر الملكي والكنائس والأديرة والمستشفيات والشوارع والأحياء والأسواق.

ولم يكن هذا النمط بمعزل عن الجانب العمراني الذي قام به الصليبيون طوال فترة تقارب ثمانياً وثمانين سنة في المدينة من حيث تغيير بعض العمائر والأبنية الإسلامية إلى منشآت عمرانية ذات طابع جديد، واستحداث أبنية أخرى لتلبي متطلبات الحياة الجديدة، ولتلائم حياة السكان الذين توطنوا في أحيائهم الخاصة كحي النصارى الشاميين أو السريان وحي البطريرك.

كانت هذه هي السياسة التي انتهجها الصليبيون في أثناء سيطرتهم على المدينة طوال فترة تقارب ثمانياً وثمانين سنة، إلا أن تلك قد تغيرت بعد فتح صلاح الدين الأيوبي للقدس سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م وأثناء حكمه، فقد قام السلطان بتطهير المدينة من بعض الإضافات التي استحدثها الصليبيون خاصة في الأماكن المقدسة، وتحديداً في منطقة الحرم، كما أعاد وتقوية أبراج المدينة وأسوارها وتقويتها، وعمد إلى تحويل بعض المباني المسيحية لأغراض إسلامية، كتحويل قصر البطريرك إلى خانقاة للصوفية، وإعادة كنيسة القديسة حنة إلى مدرسة شافعية دُعيت بالصلاحية.

ولما توفي السلطان صلاح الدين سنة (٥٨٩هـ / ١١٩٣م) انتهج خلفاؤه نهجه في الاهتمام بالمظهر العمراني، وكان أبرز هؤلاء الملك الأفضل باني المدرسة الأفضلية، والملك المعظم مشيد القناطر والأروقة والمدرسة المعظمية والنحوية، وكانت العمارة في عهد الأخير مزدهرة بشكل واضح، غير أنها ما لبثت أن تراجعت إبان حكمه كذلك، حينما أمر بخراب أسوار القدس ودوره وفنادقه عدا برج داود ومسجد الصخرة وجامع الأقصى وكنيسة القيامة سنة (٦١٦هـ / ١٢١٩م)، خوفاً من تقدم الفرنج إلى المدينة وانتفاعهم بمبانيها، ولم يكن هذا هو الحادث الوحيد الذي توقفت على أثره العمارة

بل تبعه حادث آخر عام (٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)، وهو تسليم الملك الكامل المدينة صلحاً للإمبراطور فريدريك الثاني ملك صقلية بشروط أهمها عدم تجديد عمارة القدس وإبقاؤها خراباً.

وتبع هذه الأحداث تطورات هامة أدت إلى التوقف العمراني أيضاً، كاحتلال الفرنجة للمدينة سنة (٦٤١هـ / ١٢٤٣م) وسيطرة الخوارزمية كذلك عام ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م).

كانت تلك أبرز التغييرات العمرانية التي حدثت في مدينة القدس زمن الأيوبيين، أما التغييرات السكانية فقد تمثلت بإنشاء أحياء جديدة هي: حي المسلمين، وحي اليهود، وحي المغاربة، وحي شرف أو الأكراد، إضافة إلى استحداث المحلات قرب أبواب الحرم الشريف.



الفصل الخامس

الحياة الثقافية في مدينة القدس

١- عودة الحياة الثقافية للمدينة بعد الفتح الصلاحي سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م.

٢- المؤسسات التعليمية في القدس:

أ- المدارس – نظامها.

مدارس القدس الشريف.

ب- الخانقاة الصلاحية.

ج- الزوايا.

د- الجامع الأقصى

هـ- البيمارستان الصلاحي.

٣- خلاصة.



١-عودة الحياة الثقافية إلى المدينة بعد الفتح الصلاحي سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م:

حينما استرد صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس من الصليبيين عام (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) وفي يوم الفتح أرسلت الكتب المبشرة بتحرير القدس من إنشاء القاضي الفاضل(١) والعماد الأصفهاني(٢) وابن الأثير(٣)، ثم عقد السلطان مجلساً استمع فيه إلى ما قاله الشعراء في هذا الفتح المبين(٤).

ولما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح، خرج مرسوم سلطاني بتقليد قاضي دمشق محيي الدين ابن الزكي(٥) خطابة قبة الصخرة، فصعد القاضي المنبر، وبدأ بالتحميدات، ثم أشاد بالفتح وعدد مزايا الأقصى، وحث المسلمين على مواصلة الكفاح ومداومة الجهاد(٦).

وعندما انتهت الخطبة، شرع الناصر صلاح الدين في عمارة القدس، وإعادة الطابع العلمي الديني لمبانيه، ومن ذلك ترتيبه المصاحف والختم في المسجد الأقصى وقبة

---

(١) القلقشندي، صبح، ج٦، ص ٤٩٦.

(٢) العماد، الفتح، ص ١٤٧، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٩٦.

(٣) ابن الأثير، رسائل ابن الأثير، تحقيق: أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٧٩هـ / ١٩٧٩م. ص ١٤٩.

(٤) أبو شامه، الروضتين، ج٢، ص ١٠١ – ١٠٣.

(٥) القاضي محي الدين ابن الزكي، (ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م)، شهد الفتح سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م)، فخطب أول جمعة في القدس، واستمر خطيباً أربع جمع، ثم قرر السلطان خطيباً مستقلاً، انظر أبو شامة، الذيل، ص ٣١ – ٣٢، الصفدي، الوافي، ج٤، باعتناء س. ديدرينغ، دمشق، ١٣٧٩هـ / ١٩٧٩م، ص ١٦٩- ١٧١.

(٦) أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ١٠٨، ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٢١٩ – ٢٢٧.

الصخرة[١] ومفاوضة العلماء في إنشاء المدرسة الصلاحية الشافعية؛ أشهر مدرسة في القدس مكان كنيسة القديسة حنّة قرب باب الأسباط، وتحويل دار البطريرك قرب كنيسة القيامة خانقاه للصوفية[٢]، وإقامة الزاوية الختنية خارج السور الجنوبي للمسجد الأقصى[٣]، والبيمارستان الصلاحي بدل دار الإسبتار قرب كنيسة القيامة[٤]، كما قام بتعيين القَوَمة على هذه المؤسسات العلمية، من نظّار ومدرسين وأطباء[٥].

ولم يقتصر إنشاء المراكز الثقافية على صلاح الدين الأيوبي، وإنما تجاوزه إلى أبنائه وأمرائه، فقد شيد الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي بن صلاح الدين المدرسة الأفضلية ووقفها على فقهاء المالكية في بيت المقدس،[٦] وأنشأ الأمير فارس الدين ميمون القصرى المدرسة الميمونية[٧]، وبنى حسام الدين الجراحي أحد أمراء صلاح الدين الزاوية الجراحية[٨].

استمرت عناية الأيوبيين بالعلم والعلماء بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي، وبرز منهم الملك المعظم عيسى عالم بني أيوب[٩]، حيث اتخذ المذهب الحنفي، مخالفاً بذلك أهل بيته، وعمل على نشر هذا المذهب، فأنشأ المدرسة الحنفية عند أحد أبواب المسجد

---

(١) العماد، الفتح، ص ١٤٢، ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٢٣٠.

(٢) العماد، الفتح، ص ١٤٥، أبو شامه، الروضتين، ج٢، ص ١١٤.

(٣) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٣٤.

(٤) العماد، الفتح، ص ٦١٢، أبو شامه، الروضتين، ج٢، ص ٢٠٥.

ابن واصل، مفرج، ج٢، ص ٤٠٨.

(٥) انظر تفصيل ذلك في الصفحات القادمة.

(٦) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٤٦.

(٧) المصدر ذاته ص ٤٨.

(٨) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٤٨، عبد الغني النابلسي، (ت ١١١٣هـ / ١٧٠١م)، رحلتي إلى القدس. مكتبة القاهرة، مصر، ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م، ص ١٣.

(٩) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٢١٠ – ٢١٣، ابن قطلوبغا، أبو العدل زين الدين قاسم (ت ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م)، تاج التراجم في طبقات الحنفية، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م، ص ٤٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضري، (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج١ +٢، مطبعة الموسوعات، شارع باب الخلق، مصر، ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م ص ٢١٩.

الأقصى، وعين خطيباً حنفياً للمسجد كذلك، كما بنى قبة بالحرم الشريف، قامت بتدريس القراءات السبع وحبست على فقهاء الحنفية[1] وكانت عناية المعظم بالعربية صنو عنايته بالفقه الحنفي، فكان يعقد المجالس العلمية ويباحث العلماء في المسائل اللغوية والفقهية[2]، ونظراً لاهتمامه بالعربية فقد بنى مدرسة سميت بالنحوية على آخر صحن الصخرة من جهة القبلة، وجعل النصرية على برج باب الرحمة، زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو، ووقف عليها كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت[3]، وحذا الأمير بدر الدين الهكاري حذو سيده الملك المعظم في إشاعة العلم، فعمر المدرسة البدرية في حي الواد بالقدس[4] ووقفها على الفقهاء الشافعية[5].

ويبدو أن خراب القدس سنة (٦١٦هـ / ١١١٩م)، أضعف الحركة الثقافية التي نعمت بها المدينة منذ عهد صلاح الدين، فلم نعد بعد هذا التاريخ نسمع بإنشاء مدارس كثيرة أو زوايا، إضافة إلى أننا لا نجد ذكراً للمجالس العلمية.

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص ٢١١.

(٢) المصدر ذاته، ص ٢١٣.

(٣) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٣٤.

(٤) المدرسة البريطانية لعلم الآثار في القدس، الأبنية الأثرية في القدس الإسلامية، ترجمة: اسحق موسى الحسيني، ص ١٥.

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ق٢، ص ٥٩٢، أبو شامه، الذيل، ص١٠٨، الصفدي، الوافي ج٤، ص ٣٥١، ابن كثير، البداية، ج١٣، ص ٧٨.

٢-المؤسسات التعليمية في القدس

أ-المدارس - نظامها[١]

المدرسة مؤسسة سنّية نشأت لتدعيم المذاهب السُّنية وتدعيم الدولة السنية التي عمل صلاح الدين على ترسيخ قواعدها بعدما أنهى الخلافة الفاطمية في مصر[٢]، كما كانت هناك دوافع أخرى تطلع إليها الأفراد لدى إقامتهم هذه المدارس، كالتقرب لله تعالى، ونشر العلم وتخريج القضاة والخطباء.

ولعل هذه العوامل مجتمعة أدت إلى تأسيس المدارس في القدس، فقد أنشئت معاهد لتدريس الفقه، تخصص معظمها لتدريس الفقه الشافعي، وبعضها لتدريس الفقه الحنفي، ووجدت مدرسة واحدة خصصت لتدريس الفقه المالكي.

وإلى جانب مدارس الفقه، أقيمت مدرسة عنيت بقسم من أقسام العربية وهو النحو العربي، ولم يكن وقف المدرسة على فقه أو مادة، يعني استبعاد العلوم الأخرى، بل إن ذلك يشير أن المادة الأساسية هي التي أنشئت المدرسة من أجلها، إلى جانب العلوم الدينية كلها من العلوم المتصلة بالقرآن الكريم وتفسيره وقراءته، وعلوم الحديث، وعلوم العربية[٣].

ومنذ بداية العصر الأيوبي وحتى وفاة الملك المعظم، أنشئت مدارس عدة، وكان منشئها غالباً يحرص على تسمية المدرسة باسمه، فقد سمّى صلاح الدي الأيوبي المدرسة التي أقامها قرب باب الأسباط بالمدرسة الصلاحية، ودُعيت المدرسة التي أقامها الملك

(١) قمنا باستنتاج معظم ذلك من خلال مدارس القدس، وتراجم المدرسين، إضافة إلى أننا قسنا على المدارس الأخرى الموجودة في هذا العصر.

(٢) ابن الأثير، الكامل، م١١، ص ٣٦٦، ابن كثير، البداية، ج١٢، ص ٢٦٣.

(٣) كامل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ص ١٧ أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر القاهرة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٤١.

الأفضل في حي المغاربة بالمدرسة الأفضلية،كما نُسبت المدرسة المعظمية للملك المعظم عيسى، والميمونية لميمون بن عبدالله القصري، وبعد إنشاء المدرسة كان يجري تعيين ناظر لها مهمته الإشراف على النفقات، وعلى المدرسين والمعيدين والطلاب، ووجوه الإنفاق الأخرى[1].

وقد يجمع الناظر رتبة المشيخة، التي تعد أعلى رتبة علمية في المدرسة، ويتم تعيين صاحبها بمرسوم سلطاني[2] يشترط فيه أن يكون الشيخ من أقدم المدرسين، وممن وصلوا إلى درجات علمية عالية[3] وكان لهم في الغالب مؤلفات.

وكان الشيخ يقوم بمهمة التدريس أيضاً، فيتخصص في علم ويبرع فيه، ولكنه في الوقت نفسه لا يغفل العلوم الأخرى التي تعمل على بعث الجد في الطلبة وتجنبهم الملل كون ذلك ينعكس على أداء الدرس[4].

وكان بعض المدرسين يدرس في أكثر من مدرسة[5] كما كان يقوم البعض بوظائف أخرى إلى جانب التدريس، كالقضاء[6] والإمامة[7] مما يستدعي وجود نائب للمدرس، ينوب عنه في حال غيابه، أو انشغاله[8].

كما وجد للمدرس مساعد يسمى المعيد، مهمته شرح الدرس للطلاب، وتبسيط

---

(١) حسن الباشا، الفنون، ج٢، ص ١١٩٢، ١٢١٤.

(٢) العليمي، الأنس، ج٢، ص ٤١.

(٣) عمر موسى باشا، أدب الدول المتتابعة، ط١، دار الفكر الحديث، دمشق، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م ص ١٣١.

(٤) السبكي، معيد، ص ١٠٧.

(٥) مثالنا على ذلك الشيخ فخر الدين بن عساكر الذي كان يدرس في أربع مدارس في آن واحد، أنظر عن ذلك ص ١٣٨ من هذا الفصل.

(٦) كالقاضي بهاء الدين بن شدّاد الذي كان قاضيا للعسكر ومدرسا بالصلاحية انظر ص ١٣٧ من هذا الفصل.

(٧) كامل العسلي، معاهد، ص ٢١.

(٨) مثلما ناب ابن واصل عن والده سالم الذي ذهب لأداء فريضة الحج، أنظر ص ١٤٠ من هذا الفصل.

المسائل وإيضاحها،[1] وكثيراً ما كان المعيد يصل إلى رتبة المدرس[2] أو كان يعيد بمدرسة، ويدرس بثانية[3].

أما الطلبة الذين يدعون بالفقهاء، فكانت لهم حرية اختيار المواد التي يدرسونها والمدرس الذي يتولى تدريسهم، ولم يكن عددهم محدوداً في البداية، إلا أن العدد قد أصبح محصوراً مع تقدم المدارس وتطورها[4]، فكان نصيب المدرس الواحد خمسة وعشرين طالباً[5]، غير أن هذا العدد لا يمكن تعميمه أو الوثوق بثباته.

وكان الفقهاء يأخذون مقابل تلقيهم العلوم مخصصات معينة من الأوقاف[6]، كما كانوا يحصلون على أماكن تؤويهم بجانب المدرسة[7].

ومن حيث طرق تعليمهم، فإن ذلك يتم على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: يتعلم الصبيان فيها في المكاتب، فيعلّمون مبادئ القراءة والكتابة، وشيئاً من القرآن والدين الإسلامي والحساب وبعض الشعر، إضافة إلى تربيتهم على الفضائل والمحامد[8]، وكان المعلم يختار من كل مجموعة من المؤدبين واحداً يسمى "العريف" يشترط فيه العفة والخلق النبيل وحسن التصرف، والأمانة ورجاحة العقل والصدق، وواجبه إعادة المادة التي ألقاها المعلم على تلاميذه لكي

---

(١) السبكي، معيد، ص١٠٧، ابن جماعة الكناني، أبو اسحاق إبراهيم بن سعد الله (ت ٧٣٣هـ ، ١٣٣٢م)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق: محمد هامش الندوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص ١٥٠.

(٢) كالشيخ تقي الدين أبو عمر بن الصلاح، أنظر عن ذلك ص ١٣٩ من هذا الفصل.

(٣) حسن شميساني، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، ط١، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٤٤.

(٤) كامل العسلي، معاهد، ص ٢٢.

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك، ج١، ص ١٤٦.

(٦) حسن شميساني، مدارس، ص ١١.

(٧) ابن جماعة الكناني، تذكرة، ص ٢١٠.

(٨) ابن بسام المحتسب، محمد بن أحمد (ت ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة تحقيق: حسام الدين السامرائي، بغداد، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩/ ص ١١٦.

ترسخ في أذهانهم، ورعاية طعامهم، وقت جوعهم، والإشراف عليهم في أثناء اللعب، ومراقبتهم من الهرب أو التأخر عن حضور الدرس[1].

المرحلة الثانية: يدرس التلاميذ في المدارس وأعمارهم تتراوح بين الحادية عشرة والثانية عشرة[2]، ويتلقون خلال هذه المرحلة تفسير القرآن والحديث وعلومه والديانات والفلسفة وأصول اللغة وفقهها والشعر وعلم القراءات والفقه ومذاهبه، والتاريخ وعلم الجغرافية[3].

وكان المدرس في هذه المرحلة يصدر لطلبته شهادة تدعى الإجازة، يشهد فيها بأن طالباً من طلابه درس عليه كتاباً معيناً أو أنه أصبح أهلاً لتدريسه، وكانت الشهادة تكتب على الكتاب وهذه هي الإجازة الخاصة، وهناك إجازة عامة يحق لحاملها تدريس جميع الكتب التي أملاها المدرس[4].

المرحلة الثالثة: ينتقل إليها الطالب بعد أن يقضي عشر سنوات في المدرسة، تزيد أو تنقص[5]، ويتعمق أثناءها في الموضوعات العلمية التي أخذها في المدرسة، وقد يتخصص في علم منها أو أحد فروعه[6].

---

(١) ابن بسام المحتسب، نهاية الرتبة، ص ١٦٢.

(٢) كامل العسلي، معاهد، ص ٢٢.

(٣) ناظم رشيد، التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية في الشام، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، عدد١٠، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ٢٧٧.

(٤) عبد الجليل حسن عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي، دورها في الحركة الفكرية، ج١، مكتبة الأقصى، عمان، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص١٤٢ – ١٤٣.

(٥) كامل العسلي، معاهد، ص٢٢.

(٦) ناظم رشيد، التعليم، ص٢٧٧-٢٧٨.

المدرسة الصلاحية

هي أول مدرسة أقيمت في القدس الشريف، أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م)[١]، مكان كنيسة القديسة حنة[٢]، الواقعة على بضعة أمتار من سور القدس الشرقي قرب باب الأسباط في الجهة الشمالية من الحرم[٣].

وبالرغم من أن المدرسة أسست سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) إلا أن التدريس فيها تم سنة (٥٨٨٠هـ / ١١٩٢م) حسبما يشير النقش الموجود على باب المدرسة الرئيسي[٤] ونصه "بسم الله الرحمن الرحيم، وما بكم من نعمة فمن الله، هذه المدرسة المباركة وقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبي المظفر يوسف ابن أيوب بن شادي محيي دولة أمير المؤمنين أعز الله أنصاره، وجمع له بين الدنيا والآخرة، على الفقهاء من أصحاب الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه في سنة ثمان وثمانين وخمس مائة"[٥].

اهتم صلاح الدين بالمدرسة، فوقف عليها الأوقاف سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، ثم زاد لهذه الأوقاف سنة (٥٨٨هت / ١١٩٢م)[٦] سوق العطارين[٧] وقرية عين سلوان، وبساتين

---

(١) العماد، الفتح، ص١٤٥، ابن الأثير، الكامل، م١١، ص٥٥٣، أبو شامه، الروضتين، ج٢، ص١١٤ ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٢٣٠.

(٢) كانت هذه الكنيسة في العهد الصليبي تسمى كنيسة (Saint Anne) أنشئت مكان دار العلم الفاطمية، أنظر عن ذلك أحمد سامح الخالدي، مدارس بيت المقدس ومعاهدها، مجلة الأديب آذار ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م، ص٣٥، كامل العسلي، معاهد، ص٥٦.

(٣) المدرسة البريطانية، الأبنية، ص١٤.

(٤) شاهدتُ هذا النقش على المدرسة التي أصبحت الآن كنيسة.

(5) Van. CIA. p.92.

(٦) العماد، الفتح، ص٦١٢، أبو شامه، الروضتين، ج٢، ص٢٠٥، ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤٠٧.

(٧) العليمي، الأنس، ج٢، ص٥٠.

مختلفة[١]، وجعل نظر المدرسة والأوقاف للقاضي بهاء الدين بن شدّاد،[٢] ووظيفته من الناحية الإدارية كانت الأولى في المدرسة، أما من الناحية العلمية فتأتي المشيخة في المقام الأول، وهي من الوظائف السنية بمملكة الإسلام[٣] يتولاها أعلم علماء الشافعية في بلاد العرب[٤]، ويتم تعيينه من قبل السلطان فيلقب بشيخ الإسلام إذا لم يجمع مع المشيخة وظيفة أخرى، أما إذا جمع وظيفة القضاء بجانبها فيدعي قاضي القضاة وشيخ الإسلام[٥].

شيوخ المدرسة ومدرسوها

١- **بهاء الدين بن شدّاد:** (٥٨٨ - ٥٨٩هـ / ١١٩٢-١١٩٣م) هو أبو المحسن يوسف بن رافع بن تميم الأسدي، الموصلي المولد والمنشأ، حفظ القرآن ودرس القراءات السبع وقرأ بها، واشتغل بالعربية، وروى الحديث، وبرز في الفقه الشافعي[٦]، وأصبح عالم أهل زمانه، فأعاد بالمدرسة النظامية ببغداد حوالي سنة (٥٦٩هـ / ١١٩٩م) ثم انتقل إلى الموصل، ودرس بمدرسة الكمال الشهرزوري[٧]، وفي سنة (٥٨٤هـ / ١١٨٨م) اتصل ابن شدّاد بصلاح الدين الأيوبي[٨]، وقدم له كتاباً في فضائل الجهاد، وأخرج له جزءاً في الحديث[٩]، ونال منزلة لدى صلاح الدين فولاه قضاء

(١) محفوظات، شريط رقم ٥٢٢، ص٢١، شريط ٦٠٢، ص٤٥١، شريط ٣٤٢، ص١٠.

(٢) العماد، الفتح، ص٦١٢، أبو شامه، الروضتين، ج٢، ص٢٠٥.

(٣) العليمي، الأنس، ج٢، ص٤١.

(٤) المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد (ت١١١١هـ / ١٦٩٩م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج١، دار صادر، بيروت، ص٣٩٤.

(٥) انظر ترجمة بهاء الدين بن شدّاد التي تلي ذلك.

(٦) ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٨٤-٨٦، اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي، (ت٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ج٤، ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص٨٢.

(٧) انظر ترجمة القاضي كمال الشهروزي في الفصل الإداري ص٩٣ هامش ٣.

(٨) ابن شدّاد، النوادر، ص٨٥-٨٦.

(٩) ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٨٧-٨٨، السبكي، طبقات، ج٨، ص٣٦١.

العسكر وقضاء القدس[1]، ثم أوكل إليه وظيفة نظر الأوقاف، ومشيخة التدريس في المدرسة الصلاحية،[2] وبقي سنة واحدة يمارس مهامه، رحل بعدها من القدس وانضم إلى خدمة الملك الظاهر بن صلاح الدين في حلب، وبقي فيها حتى توفي سنة (٦٣٢هـ / ١٢٣٤م[3]).

٢- **مجد الدين بن جهبل:** (٥٩٠ظنا-٥٩٦هـ / ١١٩٣ظنا-١١٩٩م) هو مجد بن طاهر ابن نصر الله بن جهبل الكلابي الحلبي، كان إماماً في الفقه والحساب والفرائض وعلم الوصايا والحديث[4].

صنف في الجهاد كتاباً قدمه للشهيد نور الدين زنكي، ثم تولى التدريس بالمدرسة النورية في حلب،[5] والمدرسة الجاروخية في دمشق،[6] فأكسبه ذلك خبرة أدت إلى تعيينه مدرساً بالمدرسة الصلاحية، حتى وفاته سنة (٥٩٦هـ / ١١٩٩م)[7].

٣- **فخر الدين بن عساكر:** (٦٠٥-٦١٥هـ / ١٢٠٨-١٢١٨م) الشيخ الإمام أبو المنصور

---

(١) ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٨٨؛ اليافعي، مرآة، ج٤، ص٨٢، العليمي، الأنس، ج٢، ص١٠٢.

(٢) ابن شدّاد، النوادر، ص٢٣٩، ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤٠٧، ابو الفداء، المختصر، م٢، ص١٠٩ ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص١٠٥، ابن الفرات، تاريخ، م٤، ج٢، ص٨٩.

(٣) ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٨٨، ابن واصل، مفرج، ج٥، ص٨٩، الداوداري، كنز الدرر، ج٧، ص٣١٤؛ الذهبي، طبقات القُراء، مكيروفيلم شريط رقم ٨٥، الطبقة الرابعة عشرة، ورقة ١١٩ اليافعي، مرآة، ج٤، ص٨٢، السبكي، طبقات، ج٨، ص٣٦٢، الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م)، غاية النهاية في طبقات القُراء، ج٢، نشرح برجستراسر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص٣٩٦ ابن قاضي شهبة، طبقات ج٢، ص١٢١-١٢٢.

(٤) أبو شامه، الذيل، ص١٧، الأسنوى، طبقات، ج١، ط١، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص٣٧٢.

(٥) الأسنوى، الطبقات، ج١، ص٣٧٢، ابن قاضي شهبه، طبقات، ج٢، ص٣١، الطباخ، محمد راغب بن محمود بن هاشم الحلبي، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج٤، ط١، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م ص٣١٣، العليمي، الأنس، ج٢، ص١٠٣.

(٦) ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢٣، النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي، (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م)، الدارس في تاريخ المدارس، ج١، تحقيق: جعفر الحسني، المجمع العلمي العربي، دمشق (١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م)، من ص٢٣٠.

(٧) الذهبي، تاريخ، شريط رقم ٣٠١، ورقة ١١٠، العبر، ج٤، ص٢٩٢.

عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي الشافعي، كان محدثاً صالحاً زاهداً، تفقه على القطب النيسابوري[1]، وحدث بمكة ودمشق والقدس[2]، ثم تولى تدريس الجاروخية ومن ثم النورية فالعذراوية في دمشق[3]، وأضيفت إليه الصلاحية في القدس سنة (٦٠٥هـ / ١٢٠٨م)[4]، فكان يدرس في أربع مدارس في آن واحد، فيقيم بدمشق أشهراً وبالقدس أشهراً، وقد افتى جماعة من العلماء زمن السبكي، تاج الدين صاحب الطبقات بجواز ذلك، على أن يستنيب إذا غاب عنها، كما أن واقف المدرسة الصلاحية جوَّز لمدرسها أن يستنيب على عذر[5].

درس فخر الدين في المدرسة الصلاحية العقيدة المرشدة التي تتحدث عن قدرة الله سبحانه وتعالى[6]، كما درس الفقه والحديث كذلك، وبقي مدرساً فيها حتى سنة (٦١٥هـ / ١٢١٨م)، حُرم بعدها من التدريس في الصلاحية، والمدارس الأخرى، سوى الجاروخية وذلك بعدما أنكر على الملك المعظم عيسى متولي أمر دمشق آنذاك، إظهار الخمور وتضمينها – لعل المراد بهذا النبيذ العراقي فإنه في حكم الخمور عندهم[7].

٤-**أبو عمر بن الصلاح** (٦١٥-٦١٦هـ / ١٢١٨-١٢١٩م): شيخ الإسلام الإمام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري، برع بالتفسير والحديث

(١) القطب النيسابوري، مسعود بن محمد بن مسعود الطريثيثي، ولد سنة (٥٠٥هـ / ١١١١م)، وتوفي سنة (٥٧٨هـ / ١١٨٢م)، أنظر ترجمته، السبكي، طبقات، ج٧، ص٢٩٧-٢٩٨.

(٢) المصدر ذاته، ج٨، ص١٧٧.

(٣) السبكي، طبقات، ج٢، ص١٧٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٠١.

(٤) أبو شامه، الذيل، ص٦٤.

(٥) السبكي، طبقات، ج٨، ص١٨٠.

(٦) المصدر ذاته، ص١٨٦.

(٧) أبو شامة، الذيل، ص١٣٨، الذهبي، سير، ج٢٢، ص١٨٨.

السبكي، طبقات، ج٨، ص١٨٤.

النعيمي، الدارس، ج١، ص٨٣.

وأسماء الرجال والفقه واللغة والفتوى[1]، تفقه في بداية حياته على والده بشهزور[2]، ثم انتقل إلى الموصل، فدرس بها، وأعاد لعماد الدين بن يونس[3] ورحل إلى خراسان فحصَّل علم الحديث[4]، بلغ منزلة علمية استطاع بواسطتها تولي التدريس بالمدرسة الصلاحية في القدس[5]، فدرس الحديث والفقه مدة تقارب السنة خربت بعدها مدينة القدس عام (٦١٦هـ / ١٢١٩م)، فانتقل منها خلق، وكان من جملتهم ابن الصلاح، حيث سافر إلى دمشق، وبقي فيها حتى توفي سنة (٦٤٣هـ / ١٢٤٥م)[6].

٥- **سالم بن نصر الله الحموي وابنه جمال الدين محمد** (٦٢١- ٦٢٦هـ / ١٢٢٤- ١٢٢٨م): كان سالم بن نصر الحموي عالماً باللغة والفقه والتاريخ[7]، عابداً زاهداً، ذا مكانة علمية بارزة لدى السلاطين الأيوبيين، لا سيما الملك المعظم عيسى صاحب دمشق الذي عرض عليه أن يتولى القضاء أو الخطابة بجامع دمشق، فابى، ثم ولاّه تدريس الصلاحية بالقدس سنة (٦٢١هـ / ١٢٢٤م) فسار إليها أوائل سنة (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) وبقي فيها حتى سنة (٦٢٤هـ / ١٢٢٨م)، حيث خرج لأداء الحج، وأناب

---

(١) ابن خلكان، وفيات، ج٣، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص٢٤٣.

(٢) شهزور: كورة واسعة في الجبال بين أربل وهمدان.

ياقوت، معجم، ج٣، ص٣٧٥.

(٣) عماد الدين بن يونس: هو محمد بن يونس بن محمد بن منعه بن مالك الاربلي، أحد أئمة علماء الموصل، ولد (سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م)، وتوفي سنة (٦٠٨هـ / ١٢١١م)، انظر ترجمته السبكي، طبقات، ج٨، ط١، ص١١٠.

(٤) ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ط١، ص١٧٥.

طاش كبرى زادة، عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٢هـ / ١٥٥٤م).

مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م ص٣٩٧.

(٥) طاش كري، مفتاح، ص٣٩٧.

(٦) سبط ابن الجوزي، مراة، ج٨، ق٢، ص٧٥٧، ابو شامة، الذيل، ص١٧٦ الذهبي، سير، ج٣، ص١٤١، ١٤٣، وتذكرة الحفاظ، ج٤، ط٣، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م، ص١٤٣٠-١٤٣١.

ابن قاضي شهبة. طبقات، ج٢، ص١٤٣-١٤٤.

النعيمي، الدارس، ج١، ص ٢٠ - ٢١.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٣.

ولده ابن واصل الحموي جمال الدين محمد مكانه في تدريس الصلاحية مدة سنتين متتاليتين[1]، ويعتقد أنه درس خلالها القرآن الكريم وقراءاته[2]، والعلوم الشرعية والعقلية[3]، والفقه والنحو العربي[4].

استمر والد ابن واصل يدرس في الصلاحية حتى سنة (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)[5]، وهي السنة التي تم فيها تسليم القدس لإمبراطور ألمانيا فريدريك الثاني من قبل الملك الكامل محمد الأيوبي سلطان مصر.

المدرسة الأفضلية

تقع في المنطقة المحيطة بالبراق الشريف في الحي المعروف بحي المغاربة في الجهة الجنوبية الشرقية من الحرم الشريف[6]، أنشأها الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي ابن صلاح الدين بحدود سنة (٥٩٠هـ / ١١٩٣م)، وأوقفها على فقهاء المالكية بالقدس[7]، وكان أغلبهم من المغاربة الذين استُقدموا في عهد صلاح الدين الأيوبي[8].

المدرسة الميمونية

موقعها عند باب الساهرة في الجهة الشمالية من المدينة[9]، أقامها الأمير فارس

---

(١) المصدر ذاته، ص١٤٢، ٢٠٨.

(٢) المصدر ذاته، ص٢١٢.

(٣) الصفدي، الوافي، ج٣، اعتناء: يوسف فان اس، نشر فرانز شتايز بفيسبادن، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ص٨٥.

(٤) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١٢.

(٥) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢٤٣.

(٦) كامل العسلي، معاهد، ص١١٦. محمد كرد علي، خطط الشام، ج٦، ط٢، مكتبة النوري، دمشق ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص١٢٢.

(٧) محفوظات، شريط ٥٣٩.
العليمي، الأنس، ج٢، ص٤٦.

(٨) عبد الهادي، حي المغاربة، ص١٣.

(٩) العليمي، الأنس، ج٢، ص٤٨.

الدين أبو سعيد ميمون بن عبد الله القصري[١]، بدل كنيسة رومية تدعى المجدلية[٢]، سنة (٥٩٣هـ / ١١٩٦م)، ومن المرجح أن المدرسة خصصت لتدريس الفقه الشافعي.

المدرسة النحوية

تقع في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من صحن الصخرة[٣]، أنشأها الملك المعظم عيسى سنة (٦٠٤هـ / ١٢٠٧م)، حسبما يشير بذلك نقش داخل المدرسة أو القبة من الشمال[٤] ذكر فيه المنشئ وزمن الإنشاء، ووالي القدس حسام الدين أبي سعيد قيماز المعظمي الذي أشرف على البناء[٥].

كانت المدرسة النحوية، كما يفهم من تسميتها قد جعلت مادة النحو العربي وعلوم العربية أساساً في التدريس[٦]، إضافة إلى تعليم القراءات السبع[٧] والفقه الحنفي كون الواقف –الملك المعظم- حنفي المذهب، وقف المدرسة على فقهاء الحنفية[8].

المدرسة الأمجدية

تقع قرب أحد أبواب الحرم الشريف[٩]، تم إنشاؤها كما يظهر تخليداً للملك الأمجد مجد الدين حسن بن العادل شقيق الملك المعظم بعدما توفي سنة (٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)[١٠]،

---

(١) راجع ما كتب عنه ص ٥٥ في الفصل التاريخي، هامش (٥).

(2) Sir Charles warren, K. C. M. G., R. E. and claude Reignier vonder, R. E. the Survey of western Palestine Jeruslaem, the committee of the Palestine Exploration found - London 1302 /1884, p. 84.

(٣) المدرسة البريطانية، الأبنية، ص١٥.

(4) Van, CIA, p. 62.

(٥) أنظر عنه في هذا البحث، الفصل الإداري، ص٩٠.

(٦) كامل العسلي، معاهد، ص١٠٤، محمد كرد علي، خطط، ج٦، ص١١٧.

(٧) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١١-٢١٢.

(٨) ابن فضل الله العمري، مسالك، ج١، ص٢١٢.

(٩) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١١.

(١٠) أبو شامة، الذيل، ص٦٧.

ويبدو أن المدرسة قد تخصصت بتدريس الفقه الحنفي لأنها كانت تسمى بالمدرسة الحنفية، وكان يدرس بها شهاب الدين البغدادي المتميز بالفقه الحنفي[١].

المدرسة البدرية

تقع شمال المدرسة اللؤلؤية في حي الواد، على الجانب الغربي من طريق القرمي[٢] وقفها الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم الهكاري، أحد أمراء الملك المعظم عيسى[٣] سنة (٦١٠هـ / ١٢١٣م[٤])، على فقهاء الشافعية[٥].

مدرسة الدركاة

موقعها بجانب البيمارستان الصلاحي في الجهة الغربية من المدينة[٦]، أقامها الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب[٧] ما بين سنة (٦٠٠ و ٦١٥هـ / ١٢٠٣ و ١٢١٨م)[٨] مكان دار الفرسان الإسبتارية[٩]، ومن المعتقد أنها قامت بتدريس الفقه الشافعي[١٠].

---

(١) ابن واصل، مفرج، ج٤، ص٢١١.

(٢) المدرسة البريطانية، الابنية، ص١٥. كامل العسلي، معاهد، ص٢٠٥.

(٣) الأمير بدر الدين الهكاري من خيار أمراء الملك المعظم الذين كان يستشيرهم ويصدر عن رأيهم عرف بصلاحه وتقواه، استشهد بحصن الطور سنة (٦١٤هـ / ١٢١٧م) انظر:

سبط ابن الجوزي، مراة، ج٨، ق٢، ص٥٩٢. أبو شامة، الذيل، ص١٠٨. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٧٨.

(4) Archibald Gwalls and Amal Abul Hajj, Arabic Inscriptions in Jerusalem, World of Islam festival, London, trust 1400 /1980, p. 6. 5.

المدرسة البريطانية، الابنية، ص١٥.

(٥) سبط ابن الجوزي، مراة، ج٨، ق٢، ص٥٩٢. أبو شامة، الذيل، ص١٠٨. الصفدي، الوافي، ج٤، ص٣٥١.

(٦) العليمي، الانس، ج٢، ص٤٧.

(٧) الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب، صاحب ميارفارقين توفي سنة (٦٤٥هـ / ١٢٤٧م)، انظر عنه سبط ابن الجوزي، مراة، ج٨، ق٢، ص٧٦٨.

(8) Gwalls, Arabic Inscriptions, p. 9.

(9) Schafer, Jerusalem, p. 216.

(10) Gwalls, Arabic Inscriptions, p. 9.

المدرسة المعظمية

تقع في الجهة الشمالية من الحرم قبالة الممر الواصل إلى باب العتم[١]، أنشأها الملك المعظم عيسى سنة (٦١٤هـ / ١٢١٧م) كما يوضح ذلك النقش الموجود على جدارها القبلي[٢]، وخصها للفقهاء الحنفية[٣] ووقف عليها من جملة الوقوف قرية علار وبتير والرام ودير السد[٤].

المدرسة الأوحدية

تقع قرب باب حُطة في الجهة الشمالية من الحرم الشريف[٥]، أوقفها الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الملك صلاح الدين داود بن الملك المعظم عيسى قبل وفاته بسنة واحدة أي سنة (٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)[٦].

ب- الخانقاه الصلاحية

اهتم صلاح الدين الأيوبي بالتصوف والمتصوفين في مدينة القدس، فأنشأ لهم الخانقاه الصلاحية غرب الحرم بالقرب من كنيسة القيامة عند ملتقى طريق الخانقاه بطريق حارة النصارى[٧] سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م)، مكان دار البطريرك[٨]، وخص

---

(١) المدرسة البريطانية، الابنية، ص١٥.

(2) Van. CIA. p. 169.

(3) Ibid. Gwalls. Arabic Inscriptions. p. 9.

(٤) محفوظات، شريط رقم ٥٢٢، ص٢٩، انظر عن هذه المدن: الفصل الجغرافي، ص٢٦، ٢٨ - ٢٩، ٣١.

(٥) العليمي، الأنس، ج٢، ص٣٩، كامل العسلي، معاهد، ص٢٥١، ٤١٤.

(٦) العليمي، الأنس، ج٢، ص٣٩.

(٧) كامل العسلي، معاهد، ص٣٣٤، يوسف غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي دار الحياة، الاردن، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص١٧٧.

(٨) العماد، الفتح، ص١٤٥.

أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص١١٤. ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٢٣٠.

الدواداري، كنز، ج٧، ص٩٠.

للخانقاه كما ذكر في وقفيتها (سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م) حمام البطرك والقبو والحوانيت المجاورة، وبركة البطرك وماملا وقرية الجورة العليا والجورة السفلى، وأرض البقعة إلى حدود بيت ضفافا وسور باهر[١]. وفي سنة (٥٨٨هـ / ١١٩٢م) زاد صلاح الدين في الوقف[٢].

كانت مشيخة الخانقاه من الوظائف السنية الهامة، وكان شيخها من أرباب الوظائف الدينية[٣] ويتمّ تعيينه بتوقيع من السلطان، ويعد غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر المقدسي النابلسي الخزرجي أول شيخ وناظر للخانقاه الصلاحية[٤].

قدم من بورين[٥] وسكن القدس، فصحب مشايخ أهل زمانه، وأخذ منهم مكارم الأخلاق، فعينه السلطان الناصر ناظراً للخانقاه وخصّه لمشيختها، فظل يتولى المشيخة إلى أن توفي سنة (٦٣٢هـ / ١٢٣٤م) بدمشق[٦].

وبعد وفاة الشيخ غانم تولى المشيخة ابنه محمد سنة (٦٨٠هـ / ١٢٨١م)[٧] عاملاً بالشرط الذي شرطه الواقف في الوقفية[٨].

كان التعليم بالخانقاة كما عرف، نظرياً وعملياً، يتم فيه تعليم التصوف، أصوله

---

(١) سجل ٩٥، شريط ٥٠٧، ص٤٢٦-٤٢٧. محفوظات شريط رقم ٥٢٢، ص١٩. شريط ٦٠٢، ص٤٥٣، شريط ٣٤٢، ص١٠.

(٢) العماد، الفتح، ص٦١٢، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٠٥، ابن الفرات، تاريخ، م٤، ج٢، ص٨٩.

(٣) القلقشندي، صبح، ج١٢، ص١٠٥.

(٤) العليمي، الأنس، ج٢، ص١٤٦، اللقيمي، موانح، ورقة ٧٥.

(٥) بورين: قرية تقع جنوب مدينة نابلس، وجنوب غرب كفر قليل.

انظر: قسطنطدي، معجم، ص٢٩.

(٦) النعيمي، الدارس، ج٢، ص١٩٦. الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد – (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٥، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص١٥٥.

(٧) العليمي، الأنس، ج٢، ص١٥١.

(٨) سجل ٩٥، شريط ٥٠٧ ص٤٢٧.

محفوظات، شريط ٥٢٢، ص١٩، وشريط ٣٤٢ ص١٠.

وما يتعلق به، ثم يتم تطبيق هذه الأصول عملياً من حيث أداء الصلاة والقيام بالشعائر وغير ذلك[1].

أما فيما يتعلق بطلبة الخانقاه أو من يدخلها، فقد شرط الواقف أن يكونوا متصوفين يجتمعون بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة بالخانقاه أو بالمسجد الأقصى لقراءة القرآن والدعوة للواقف والمسلمين، ثم يقرؤون شيئاً من كلام المشايخ المتصوفة بحضور شيخهم، وإذا تعذرت القراءة في كل جمعة ففي بعض الجمع[2].

ج-الزوايا

الزاوية عبارة عن أمكنة صغيرة الحجم لا تتسع إلا لعدد قليل من المتصوفة والزهاد، ومن وظائفها أنها استخدمت كمصلى صغير، أو مكان وخلوة خاصة لأحد الزهاد والمتصوفة[3]. قامت الزوايا في القدس بدور فكري بجانب الخانقاه الصلاحية برز منها:

الزوايا الختنية:

تقع خارج السور الجنوبي للمسجد الأقصى خلف منبر نور الدين[4]، أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي، ووقفها على الشيخ جلال الدين محمد بن أحمد الشاشي المجاور في بيت المقدس سنة (٥٨٧هـ / ١١٩١م)، ثم من بعده على من يسير مساره في الصلاح[5]، أما سبب تسميتها بالختنية فيعود إلى الشيخ الختني الذي تولى مشيختها

---

(١) ابن جماعة الكناني، تذكرة، ص٢٢٧.

(٢) سجل ٩٥، شريط ٥٠٧، ص٤٢٧. محفوظات، شريط رقم ٥٢٢، ص١٩، وشريط ٣٤٢ ص١٠.

(٣) غوانمة، نيابة، ص١٧٥.

(٤) العليمي، الأنس، ج٢، ص٣٤، المدرسة البريطانية، الأبنية، ص١٤.

(٥) العليمي، الأنس، ج٢، ص٣٤. عبد الجليل، المدارس، ج١، ص٤٢٦.

في القرن الثامن الهجري،[1] وفيما يتعلق بمواد التدريس فيها، فليس لدينا ما يوضح ذلك، إلا أننا نعتقد أن الفقه المالكي كان من جملة المواد التي تم تدريسها[2].

الزاوية الجراحية

تقوم في حي الشيخ جراح في الشمال من المدينة القديمة وعلى بعد ٢٥ متراً من شمال فندق الكلونية الأميركية[3]، ونسبتها لواقفها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى أحد أمراء صلاح الدين، المتوفى سنة (٥٩٨هـ / ١٢٠١م)[4].

د- الجامع الأقصى (المسجد وقبة الصخرة)

اهتم صلاح الدين الأيوبي بإعادة الحياة الفكرية للمسجد الأقصى، فأزال الآثار الصليبية منه، ووضع المصاحف والختم فيه، كما رتب الخطباء والمدرسين والأئمة والقومة، ووقف على ذلك الوقوف الكثيرة.

كان التدريس في المسجد يتم على شكل حلقات قد تتسع أو تضيق تبعاً لعدد الطلاب[5] ولم تكن هذه الحلقات منتظمة بل كان يغلب عليها الوعظ والإرشاد.

وكما كان للمدارس مشيخة، فقد كان للمساجد مشيخة، وهي أعلى رتبة يتولاها من يدرس في المسجد. وممن تولى مشيخة الصخرة ابن سجمان محمد بن الشريشي بن أحمد بن محمد بن عبد الله المالكي (٦٠١- ٦٥٠هـ / ١٢٠٤ – ١٢٥٢م) الفقيه والمفسر

---

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك، ج١، ص١٦٦.

(٢) أخذت بذلك بعدما قرأت ترجمة لعلامة يمت بصلة لجلال الدين المذكور، وهو جلال الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن شاش شيخ المالكية، توفي بدمياط سنة (٦١٦هـ / ١٢١٩م) انظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ص٢١٤.

(٣) المدرسة البريطانية، الأبنية، ص١٤.

(٤) العليمي، الأنس، ج١، ص٤٨. عبد الغني النابلسي، رحلتي، ص١٣.

(٥) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ / ١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، ص٢٤٤-٢٤٥.

النحوي، البارع في المذهب المالكي والعارف بالعربية وعلم الكلام والتفسير[1].

وكما وجد للصخرة مشيخة، كان للمسجد الأقصى مشيخة أيضاً، وقد تولاها عطاء المقدسي شيخ الشافعية فقهاً وعلماً وشيخ الصوفية طريقة[2].

درس بجانب المشايخ مدرسون عرف منهم الحسن بن الخطير بن أبي الحسين النعماني الحنفي (٥٤٧-٥٩٨هـ / ١١٥٢-١٢٠١م) نسبة إلى النعمانية قرية في بغداد، وكان مبرزاً في النحو واللغة والعروض والقوافي والشعر والأخبار، عالماً بتفسير القرآن والفقه والخلاف[3] والكلام والحساب والمنطق والطب، درس في الصخرة الشريفة ثم انتقل منها إلى مصر. وأجرى له في كل شهر ستون ديناراً ومائة رطل خبز وخروف وشمعة كل يوم[4]، ومنهم الطبيب موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي، البارع بعلوم النحو[5]، العارف بعلم الكلام والطب، وقد كان موفق الدين يتردد إلى الجامع الأقصى ويشتغل الناس عليه بكثير من العلوم، وصنف هناك كتباً كثيرة ثم توجه إلى دمشق فتميز بصناعة الطب، وأقام مدة ينتفع الناس بعلمه[6]، ودرس كذلك في الصخرة ابن جهبل محمد الدين الفقيه[7]، وكان هؤلاء المدرسون

---

(١) ابن قاضي شهبة، طبقات النحاة واللغويين، تحقيق: محسن غياض، النجف الأشرف، مطبعة النعمان ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ص٥٦.

(٢) الأسنوي، طبقات، ج٢، بغداد، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، ص٤١٣.

(٣) علم الخلاف: هو علم تستنبط مبادئه من علم الجدل، فالجدل بمنزلة المادة والخلاف بمنزلة الصورة وله استمداد من العلوم العربية والشرعية، طاش كبرى، مفتاح، ص٢٥٣.

(٤) السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، ص٢١٩.

(٥) البغدادي، الإفادة، ص١٥٣.

(٦) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد السعدي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: تزار رضا. دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٥هـ / ١٦٩٥م، ص٦٨٩.

(٧) العماد، الفتح، ص٦١٢. أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٠٥، ابن واصل، مفرج، ج٢، ص٤٠٨. ابن الفرات، تاريخ، م٤، ج٢، ص٨٩.

يتقاضون رواتبهم من مسؤول أوقاف الجامع الأقصى[1].

هـ- البيمارستان الصلاحي

جعل السلطان صلاح الدين الأيوبي الكنيسة المجاورة لدار الإسبيتار قرب كنيسة القيامة في المنطقة المعروفة الآن بالدباغة بيمارستاناً للمرضى[2]، ووقف عليه أوقافاً منها بيوت في محلة قطانين ومحلة باب وحطة وباب العمود ودكاكين في سوق الزيت، ومخازن مختلفة، ومعصرة[3]، وزود البيمارستان بما يحتاجه من أدوية وعقاقير[4]، وكلف بهاء الدين بن شدّاد النظر عليه[5]. كان البيمارستان يقوم بدور فكري لا يقل شأناً عن الدور العلمية السالفة الذكر، فقد تم فيه تدريس الطب وتطبيقه عملياً بشكل لم تستوعبه المدارس التي سبق الحديث عنها[6]، وشغله عدد من الأطباء عرف منهم[7]:

١- الطبيب موفق الدين يعقوب بن صقلاب (سقلاب) المقدسي (٥٨٠-٦٢٦هـ / ١١٨٤-١٢٢٨م):

ولد هذا الطبيب بالقدس، وتعلم فيها على الراهب الفيلسوف الأنطاكي تاذورسي (تاودروس) نزيل القدس في دير السيق، وكان خبيراً بالعلم الطبيعي متقناً للهندسة وعلم الحساب والتنجيم، كما تعلم أيضاً على الشيخ أبي منصور النصراني الطبيب

---

(١) محفوظات، شريط رقم ٥٢٢، ص٢٦. وشريط ٦٠٢ ص٤٥٣، وشريط ٣٤٢، ص٥.

(٢) العماد، الفتح، ص٦١٢. أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٠٥.

(٣) العماد، الفتح، ص٦١٢، ابن شدّاد، النوادر، ص٢٣٩.

(٤) كامل العسلي، معاهد، ص٢٩٥. أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف بيروت، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م، ص١٠٧.

(٥) وجد أطباء في مدينة القدس، لم يعملوا في البيمارستان الصلاحي منهم: أبو سليمان داود بن المني (ت ظنا ٥٨٣هـ / ١١٨٧م)، والشيخ موفق الدين البغدادي (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م)، وفخر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الأنصاري (ت ٥٩٤هـ / ١١٩٧م)، ورشيد الدين أبو سعيد بن موفق الدين (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م). انظر ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٥٨٧-٥٨٨، ٦٨٣، ٦٨٧، ٦٨٩، ٤٠٢-٤٠٣، ٥٩٩-٦٠٠.

(٦) كامل العسلي، معاهد، ص٢٩٥.

(٧) أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف بيروت، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م، ص١٠٧.

وعمل معه في صناعة الطب حتى ذاع صيته وعرف بها، فانتقل إلى مباشرة البيمارستان الصلاحي وبقي به حتى استدعاه الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر فاختص به، ورحل إلى دمشق. وأقام فيها يخدم المعظم، حتى توفي الأخير فخدم ولده الناصر داود مدة سنتين توفي بعدها على أثر إصابته بمرض النقرس [١].

٢- **الطبيب رشيد الدين أبو المنصور بن أبي الفضل بن علي الصوري** (٦١٢-٦١٤هـ / ١٢١٥-١٢١٧م):

ولد في صور سنة (٥٧٣هـ / ١١٧٧م) ونشأ بها ثم انتقل إلى البلاد الشامية لتلقي الطب والعلوم الحكمية، فتتلمذ على الطبيب موفق الدين عبد العزيز والحكيم موفق الدين البغدادي، ثم صحب الشيخ أبا العباس الجياني المتبحر في معرفة الأدوية المفردة والعلوم الحكمية، وخدم بصناعة الطب الملك العادل أبا بكر بن أيوب وسار معه إلى القدس، فباشر البيمارستان الصلاحي، ثم انتقل لخدمة الملك المعظم ومن بعده الملك الناصر داود، وبقي في دمشق حتى وافاه أجله سنة (٦٣٩هـ / ١٢٤١م)[٢].

• • •

---

(١) القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، ص٢٤٨.

ابن العبري تاريخ مختصر، ص٢٥٣. سامي خلف حمارنة، الطب العربي في فلسطين في زمن الفاطميين والأيوبيين، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، جغرافية فلسطين وحضارتها، م٢، ط١، الأردن، ١٤٠٤هـ /١٩٨٣م، ص١٢-١٤.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٦٩٩-٧٠٠. سامي حمارنه، الطب، ص١٥.

٣- خلاصة:

نتبين من السابق أن الفتح الصلاحي لمدينة القدس كان مصحوباً بعودة الحياة الثقافية التي لم تعهدها المدينة من قبل، وكان من أبرز الملامح الثقافية إنشاء المدارس كالمدرسة الصلاحية بدل كنيسة القديسة حنة قرب باب الأسباط، والمدرسة الأفضلية في المنطقة المحيطة بالبراق الشريف، والميمونية عند باب الساهرة، والنحوية في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من صحن الصخرة، والأمجدية قرب أحد أبواب الحرم الشريف، والبدرية شمال المدرسة اللؤلؤية، والمعظمية في الجهة الشمالية من الحرم، والأوحدية قرب باب حطة، كما تم تحويل دار البطرك لخانقاه خاصة بالمتصوفة سميت بالخانقاه الصلاحية، وشيدت الزوايا كالزاوية الختنية خارج السور الجنوبي للمسجد الأقصى، والجراحية في حي الشيخ جرّاح شمال المدينة.

وبجانب هذه المؤسسات التعليمية، كان هناك الجامع الأقصى حيث المواعظ التي تلقى بشكل لا يدل على أنها دروس منتظمة، والبيمارستان الصلاحي الذي تم فيه تدريس الطب نظرياً وعلمياً.

كانت دور العلم سالفة الذكر تلقى الاهتمام والعناية من قبل السلاطين أو المنشئين، فقد كانوا يوقفون عليها الأوقاف، كما كانوا يعينون نظّاراً عليها يشرفون على نفقاتها وعلى المدرسين والمعيدين والطلاب ووجوه الإنفاق الأخرى.





الخرائط

شكل رقم (١):

قرى وأعمال مدينة القدس في العهد الأيوبي.

تم رسم الشكل بالاستعانة بـ: خارطة القدس، لوحة ٤، مقياس ١: ٢٥٠,٠٠٠، دائرة الأراضي والمساحة في المملكة الأردنية الهاشمية،، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م. اليعقوب، ناحية القدس الشريف،

شكل رقم (٢)،

مملكة بيت المقدس في العهد الصليبي، رسم بعد الاستعانة بـ:

.Riley Smith، The kingdom of Jerusalem، p١٦٩

مواقع القرى في ناحية القدس الشريف.

شكل رقم (٣):

مخطط مدينة القدس في زمن الصليبيين، رسم بعد الاستعانة بـ:

Lambert's، Jerusalem، Map-Jerusalem in the time of the latin kingdom 12th century، p. 193.

شكل رقم (٤):

المنشآت العمرانية في العهد الأيوبي: رسم بعد الاستعانة بـ:

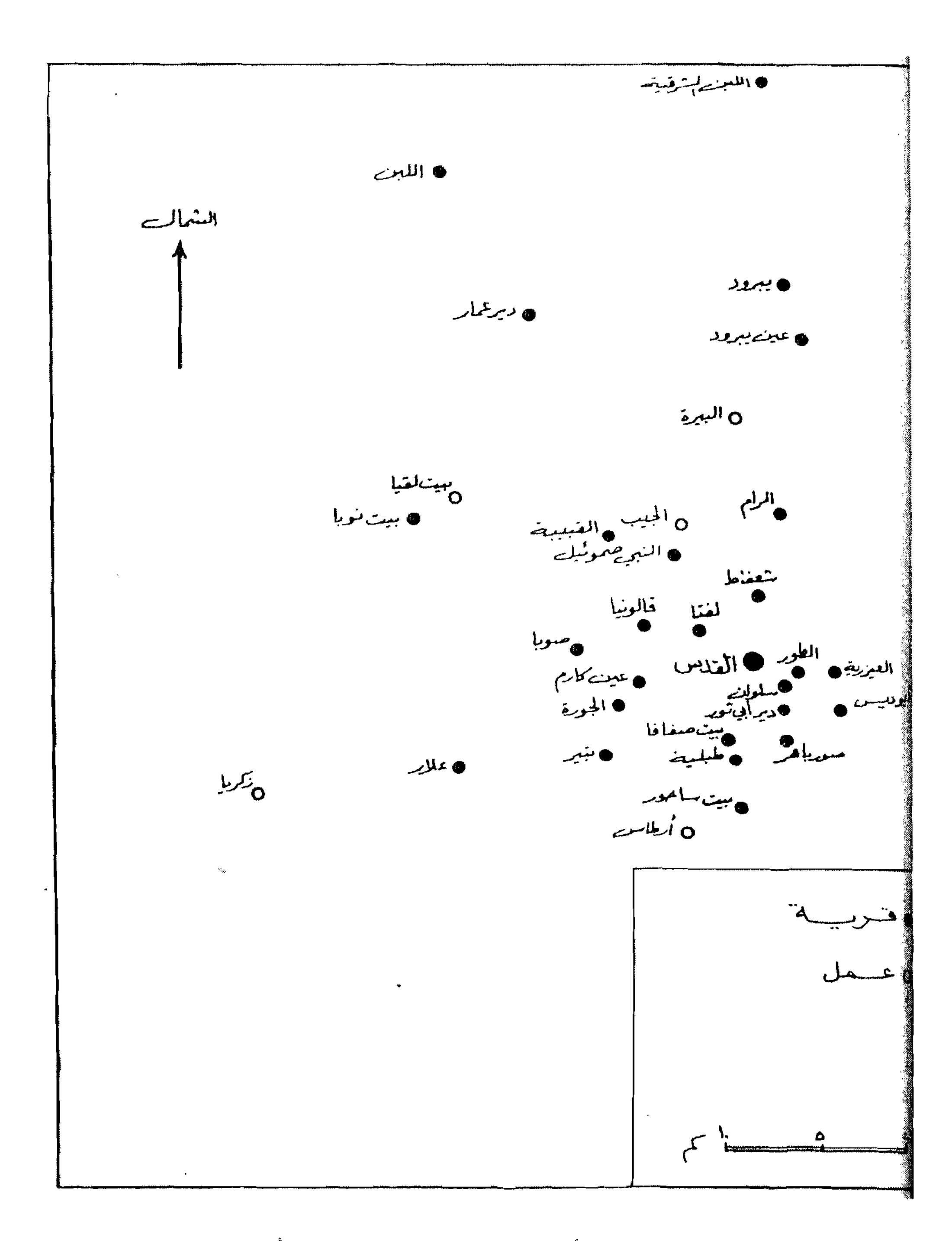
كامل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، خارطة مواقع القدس، مقابل ص٤١٤، ومن آثارنا في بيت المقدس، خارطة مواقع خانات القدس وأسبلتها وحماماتها مقابل ص٢٩٧، وخارطة المدرسة البريطانية لعلم الآثار، وخارطة حمد عبد الله يوسف، بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية، دائرة الأوقاف، القدس، ط١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص٣٣١.

شكل رقم (٥):

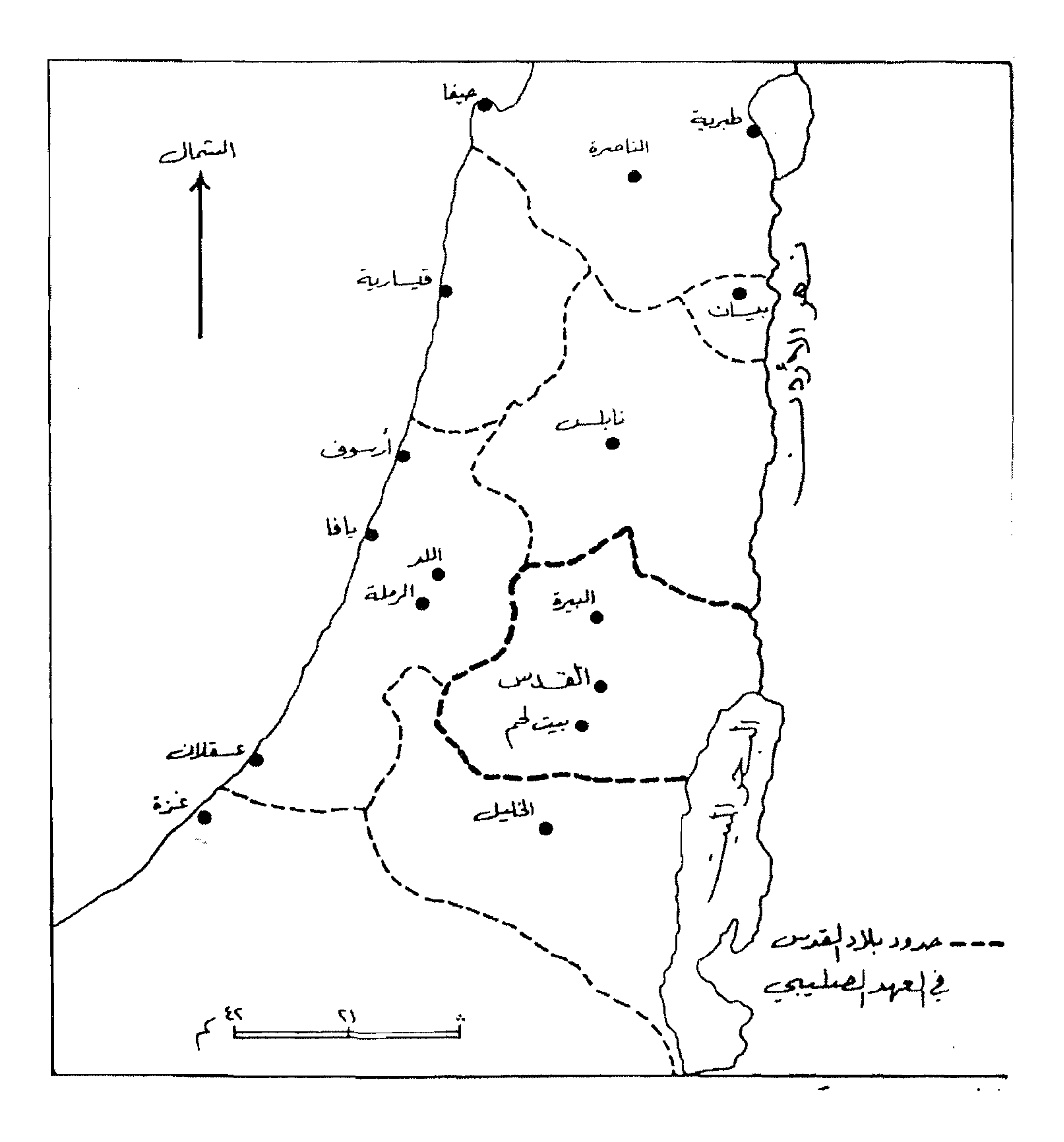
أحياء وحارات ومحلات مدينة القدس في العصر الأيوبي، رسم بالاستعانة ب:

محفوظات شريط ٥٢٢، ص٢٦، شريط ٦٠٢، ص٤٥٣، شريط ٣٤٢، ص٥.

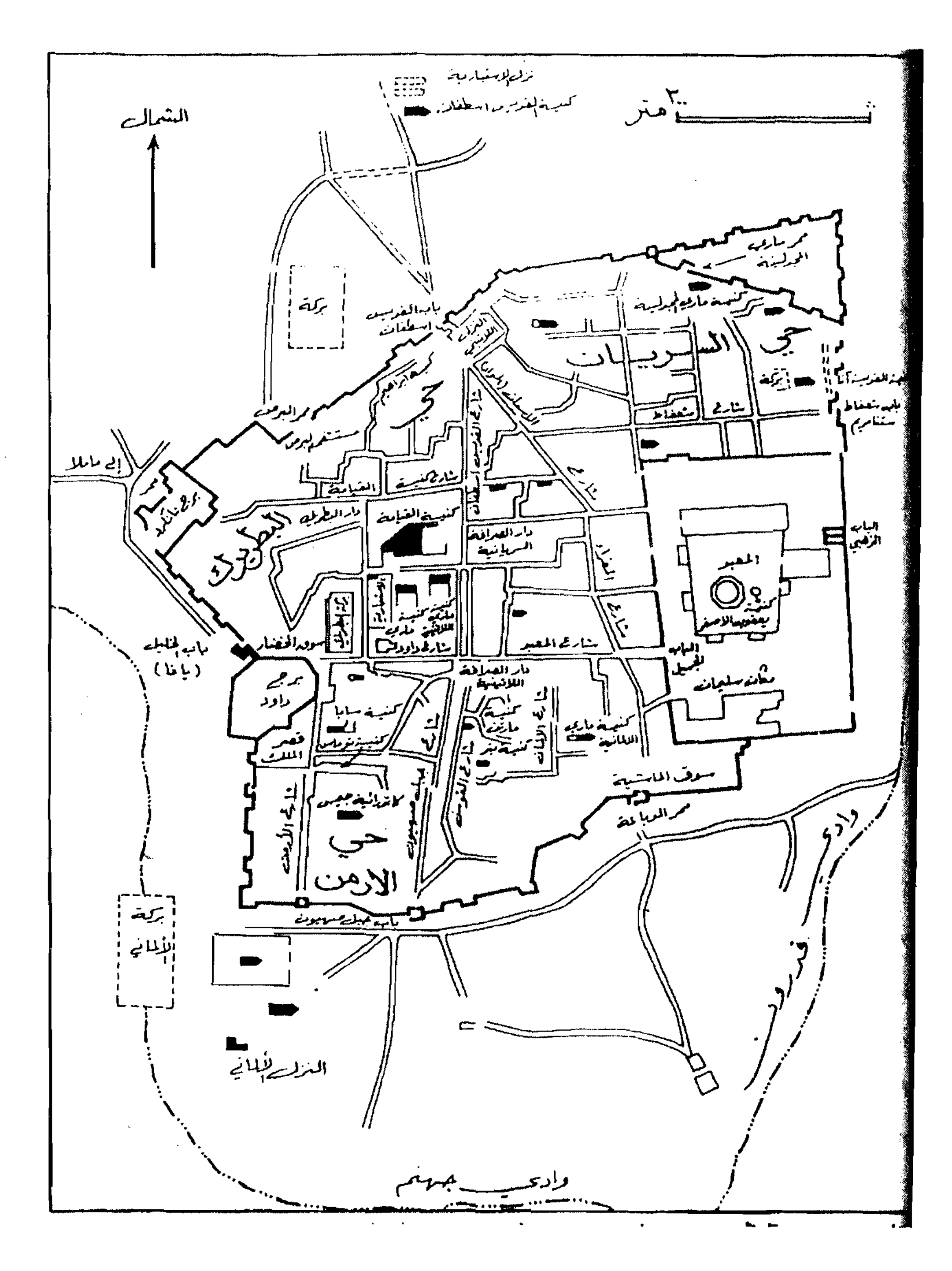
Al-tibawi, the Islamic pious foundations in Jerusalem. Map. I.



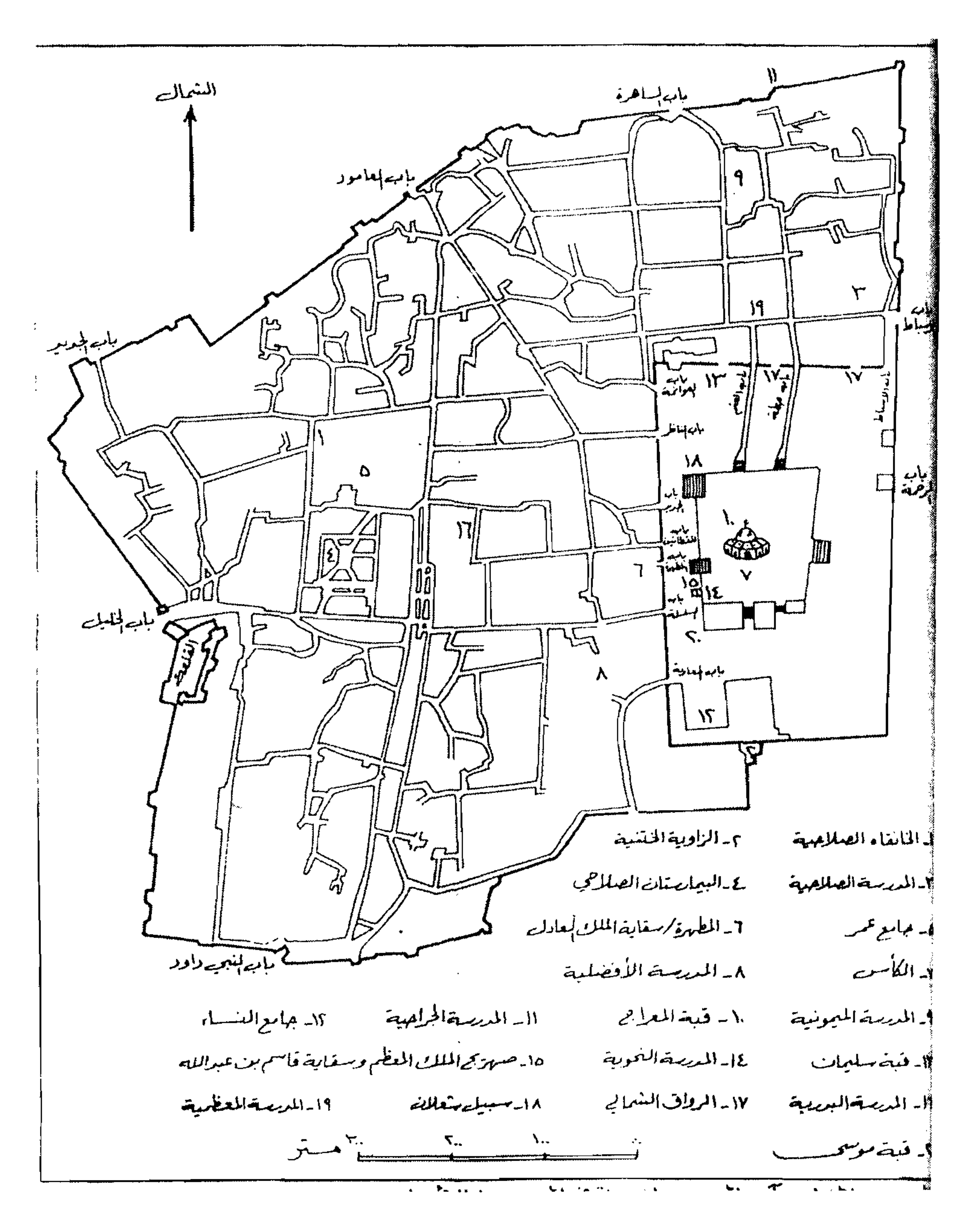
شكل -١- قرى وأعمال مدينة القدس في العهد الأيوبي



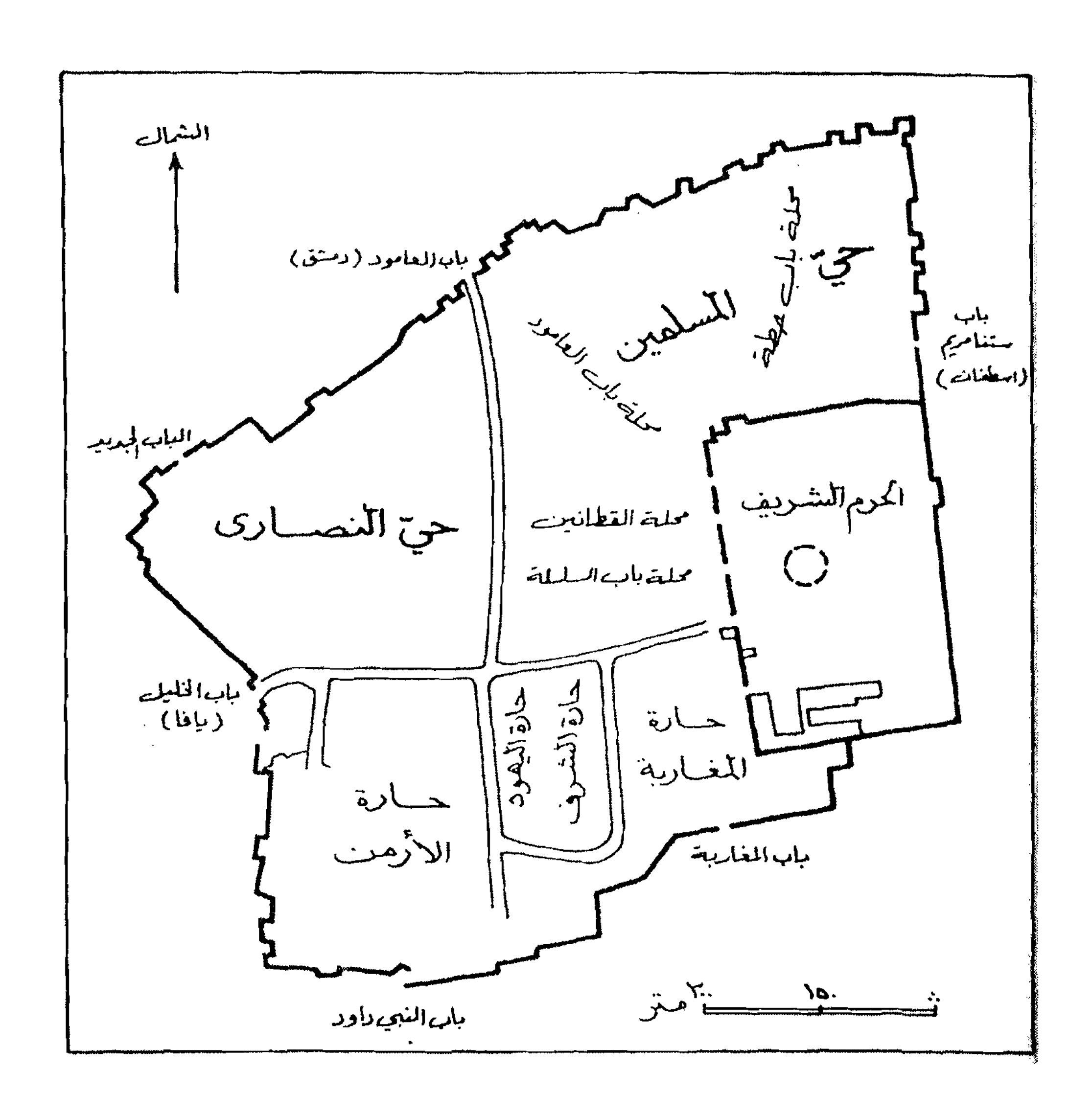
شكل -٢- مملكة بيت المقدس في العهد الصليبي



الشكل -٣- مخطط مدينة القدس في زمن الصليبيين



شكل -٤- المنشآت العمرانية في العهد الأيوبي



شكل -٥- أحياء وحارات ومحلات مدينة القدس في العصر الأيوبي



المصادر والمراجع



المصادر المخطوطة:

- سجلات المحاكم الشرعية بالقدس، ميكروفيلم، سجل رقم ٩٥ شريط ٥٠٧، سجل رقم ٧٧ شريط ٥٠٢.
- محفوظات رئاسة الوزراء باستانبول، طابو دفتري صفد، عجلون، غزة، القدس، نابلس لواء القدس شريط رقم ٥٢٢.

طابو دفتري خليل الرحمن، دمشق الشام، الرملة، صفد، صيدا، غزة، القدس، نابلس لواء القدس شريط رقم ٦٠٢.

طابو دفتري القدس شريط رقم ٣٤٢.

- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت ٥٩٠هـ / ١١٩٣م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة (ميكروفيلم)، شريط مصور عن نسخة بالخزانة العامة بالرباط، يوجد صورة منه في الجامعة الأردنية، قسم التصوير، تحت رقم ١٤٢٠.
- ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، مخطوط مصور، ج٥، مصور عن نسخة مكتبة أحمد الثالث، ونسخة باريس.
- ابن العميد، جرجس بن أبي الياس بن أبي المكارم (ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م) (مختصر تاريخ الطبري). تاريخ ابن العميد (ميكروفيلم)، شريط مصور من مكتبة بودليان –أكسفورد رقم ١٦١ مجموعة لود، يوجد صورة منه في الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات تحت رقم ٥٤٠.
- الدوادار المصري، بيبرس ركن الدين المنصوري (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة (ميكروفيلم)، م١٠، نسخة مصورة من جامعة بيل

رقم ٧٥٨ مجموعة لاندبيرج يوجد نسخة عنها في الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات، رقم ٢٠.

- الذهبي – شمس الدين أبو محمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م).

(تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام)، ميكروفيلم، شريط مصور من المتحف البريطاني رقم ٤٨٠٦، يوجد نسخة منه في الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات رقم ٣٠١.

طبقات القرّاء، مصور عن المكتبة الملكية في الرباط، يوجد نسخة منه في الجامعة الأردنية، مركز التصوير، تحت رقم ٨٥.

- ابن السباهي زاده –محمد بن علي (ت ٩٩٧هـ / ١٥٨٨م)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، (ميكروفيلم، مكتبة بودليان، أكسفورد، مجموعة Pocock رقم ٣٠٢ يوجد صورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية تحت رقم ٥٥٩.

- اللقيمي، مصطفى أسعد بن أحمد بن سلامة (ت ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م)، (موانح الأنس برحلتي إلى القدس)، مخطوط مصور عن نسخة بالخزانة العامة بالرباط.

- مجهول –مؤلف عاش في العهد العثماني، تاريخ القدس والخليل عليه السلام، (ميكروفيلم) مصور من مكتبة بودليان- أكسفورد، رقم ٣٣، مجموعة كلارك، يوجد منه نسخة في مركز الوثائق والمخطوطات تحت رقم ٥٦٠.

المصادر المطبوعة: كتب الجغرافيا والرحلات:

- بنيامين التطيلي (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م)، رحلة بنيامين، ترجمة: عزرا حدّاد، المدرسة الوطنية بغداد، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م.

- ابن جبير، محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ / ١٢١٨م)، رحلة ابن جبير، دار صادر —دار بيروت، بيروت، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- السمعاني أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م)، التحبير في المعجم الكبير)، تحقيق منيرة ناجي سالم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- ابن شدّاد، أبو عبد الله عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء لشام والجزيرة، تاريخ لبنان والأردن وفلسطين، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.
- ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج٢، ج٣، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.
- عبد الغني النابلسي (ت ١١١٣هـ / ١٧٣٠م)، رحلتي إلى القدس، الحضرة الأنيسية في الرحلة القدسية، مكتبة القاهرة، مصر، ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م.
- عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م)، الإفادة والاعتبار في الأمور والمشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق: أحمد غسان سبانو، ط١، دار قتيبة، دمشق، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٧٥هـ / ١٩٨٥م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خيّاط، بيروت، لبنان، -١٣هـ / --١٩م.
- ناصر خسرو علي (ت ٤٨٠هـ / ١٠٨٨م) سفرنامة، ترجمة: يحيى الخشاب، ط١، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م.

- الهروي: أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت ٦١١هـ / ١٢١٤م) الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق: جانيت سورديل، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان ج١-ج٥، دار صادر، بيروت، ١٣٩هـ / ١٩٨م.
- المشترك وضعاً والمفترق صعقاً، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

كتب التاريخ والسير والحوليَات:

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ج١١ ج١٢، دار صادر -دار بيروت، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- أسامة بن منقذ، أبو المظفر مؤيد الدولة محمد الدين (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م)، الاعتبار تحقيق: قاسم السامرائي، دار الأصالة، الرياض، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- البنداري، قوام الدين الفتح بن علي (ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م) سنا البرق الشامي، وهو مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني، تحقيق: فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي مصر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٦، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، م٥ ق١، م٥ق٤، دار

الكتاب اللبناني، بيروت، -١٣-هـ / --١٩م.

- الداوداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت بعد ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) كنز الدرر وجامع الغرر، الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، ج٧، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

- ابن الساعي الخازن، أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين (ت ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م)، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، ج٩، نشر: مصطفى جواد، المطبعة السريانية بغداد ١٣٣٥هـ / ١٩٣٤م.

- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨، ق١، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م، ق٨، ق٢، ط١، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج١+٢، مطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق، مصر، ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م.

- أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج١، ق٢، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م، ج١، ق١، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، لجنة التأليف، القاهرة، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م، ج٢، دار الجيل، بيروت.

- ابن شدّاد، القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، سيرة صلاح الدين الأيوبي، ط١، تحقيق: جمال الدين الشيّال، الدار المصرية، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

- ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، تاريخ

مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت، -١٣٩هـ / -١٩٧م.

• ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م)، زبدة الطلب في تاريخ حلب، ج٣، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية دمشق، ١٣٨٧هـ / ١٩٧٨م.

• العليمي، أبو اليمن مجير الدين الحنبلي (ت ٩٢٨هـ / ١٥٢١م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج٢، مكتبة المحتسب، عمان، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

• العماد الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبو الفرج الكاتب (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبيح، الدار القومية القاهرة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

• ابن العميد، الشيخ المكين جرجس بن العميد أبي الياس أبي المكارم النصراني (ت بعد ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م)، أخبار الأيوبيين، مجلة المعهد العلمي بدمشق (بالفرنسية) ج ٧ X ، سنة ١٣٧٥ – ١٣٧٧هـ / ١٩٥٥ – ١٩٥٧م، دمشق، سنة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.

• أبو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، م٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

• ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)، تاريخ ابن الفرات، م٤، ج٢، نشر: حسن محمد الشماع، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩، م٥، ج١، تحقيق: حسن محمد الشماع دار الطباعة الحديثة، بصرة، العراق، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

• ابن قاضي شهبة، بدر الدين أبو الفضل محمد بن تقي الدين (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) الكواكب الدرية في السيرة النورية، ط١، تحقيق: محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

• ابن قايماز التركماني الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) دول الإسلام، ج٢، ط٢، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م.

• ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) المذيل على تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار حسان، دمشق، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

• ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل -الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ج١٢، مكتبة المعارف، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج١٣، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

• ابن لقلق كسيرلس الثالث (ت ٦١٣-٦٤١هـ / ١٢١٦-١٢٤٣م)، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية م٤، ج١، نشر: أنطون خاطر وأزول بورمستر، القاهرة، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

• ابن نظيف الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي (ت بعد ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق: أبو العيد دودو، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

• المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م). أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين، ج٣، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق١، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م، ج١، ق٢، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م.

• ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) مفرج الكروب في

أخبار بني أيوب ج١، تحقيق: جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، وزارة المعارف المصرية، إدارة الثقافة العامة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م، ج٢، تحقيق: جمال الدين الشيال، مطبوعات إدارة إحياء التراث القديم، وزارة التربية والتعليم، إدارة الثقافة العامة، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م.

ج٣، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار القلم. القاهرة، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.

ج٤، تحقيق: حسنين محمد ربيع، دار الكتب، مصر، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

ج٥، تحقيق: حسنين محمد ربيع، دار الكتب، مصر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

- ابن الوردي: زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) تتمة المختصر في أخبار البشر، ج٢، جمعية المعارف، القاهرة، ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م).
- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج٤، ط٢، مؤسسة الأعلمي بيروت، لبنان، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين (ت ٧٢٦هـ / ١٣٦٢م). ذيل مرآة الزمان، م٢، مطابق عن النسختين في أكسفورد واستانبول، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.

كتب الطبقات والتراجم:

- الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧٠هـ / ١٣٧٠م) طبقات الشافعية، ج٢، تحقيق: عبد الله الجبوري، رئاسة ديوان الأوقاف، العراق،

بغداد، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد السعدي (ت ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

- الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م)، غاية النهاية في طبقات القراء، ج٢، ط٢، نشر: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

- الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٥، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٧، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، العبر في خبر من غبر، ج٤، تحقيق: صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، سلسلة التراث العربي، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م، ج٥، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

سير أعلام النبلاء، ج٢٢، تحقيق: بشار عواد معروف، محي هلال السرحان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

تذكرة الحفاظ، ج٤، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.

- السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ط١، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي.

• أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين المعروف بالذيل على الروضتين، ط١، ط٢، دار الجيل، بيروت ١٣٧٥هـ / ١٩٤٧م، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

• ابن قاضي شهبة، بدر الدين أبو الفضل محمد بن تقي الدين (ت٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) طبقات الشافعية، ج٢، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٩٨-١٤٠٠هـ / ١٩٧٨-١٩٨٠م.

طبقات النحاة واللغويين، تحقيق: محسن غياض، النجف الأشرف، مطبعة النعمان، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

• السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ / ١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م.

• الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، ج١، ط١، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ج٢، ط٢، حققه س. ديدرينغ، فرانز شتايز بفيسبادن، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

ج٤، حققه س. ديدرينغ، فرانز شتايز بفيسبادن، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م.

ج٦، حققه: س. ديدرينغ، فرانز شتايز بفيسبادن، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

ج٨، حققه: محمد يوسف نجم، فرانز شتايز بفيسبادن، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

ج٣، حققه: يوسف فان اس، فرانز شتايز بفيسبادن، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

• ابن قطلوبغا، أبو العدل زين الدين قاسم (ت٨٧٩هـ / ١٤٧٤م) تاج التراجم في طبقات الحنفية مكتبة المثنى بغداد، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.

• القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف (ت ٦٤٦هـ /

١٢٤٨م) أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م.

- الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، فوات الوفيات، ج١، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٧١هـ / ١٩٥١م.
- المحبي، محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج١، دار صادر، بيروت.
- الملك الأشرف الغساني، عماد الدين أبو العباس إسماعيل بن العباس (ت ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، ج١، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم دار التراث الإسلامي، بيروت، لبنان، دار البيان، بغداد، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم الأدباء المعروف بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج٥، ط٢، تحقيق: د. س مرحليوث، مطبعة هندية، القاهرة ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م.

كتب النظم والموسوعات والمصنفات الإدارية:

- ابن بسام المحتسب، محمد بن أحمد (ت ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م) نهاية الرتبة في طلب الحسبة تحقيق: حسام الدين السامرائي، بغداد، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) معيد النعم ومبيد النقم، ط١، تحقيق: محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، محمد أبو العيون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م.

- ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، حققه: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م.
- ابن فضل الله العمري، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م)، التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٣١٢/١٩٢٤م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، ج٤، ج٦، ج١٢، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- ابن مماتي، الأسعد بن خطير، (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريان عطية، مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٦٣هـ / ١٩٤٣م.
- ابن النابلسي، عثمان بن إبراهيم (ت نحو ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) لمع القوانين المضيّة في دواوين الديار المصرية، مجلة المعهد العلمي بدمشق (بالفرنسية) ج٧١ X سنة ١٣٧٨-١٣٨٠هـ / ١٩٥٨-١٩٦٠م، دمشق، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.

مصادر أخرى:

- ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري (ت ٦٣٧هـ / ١٣٣٩م)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ق٢، ط١، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر القاهرة، ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م.

رسائل ابن الأثير، تحقيق: أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م.

- ابن جماعة الكناني، أبو إسحق إبراهيم بن سعد (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)، تذكرة

السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق: محمد هاشم الندوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان -١٣٩هـ / -١٩٧م.

- السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ / ١١٦٦م) الأنساب، ج٣ ط٢، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ج٤، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ج٥، ط٢، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ج٨، ج٩، ط٢، اشترك في التحقيق: محمد عوامة، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- السيوطي، أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين بن عبد الخالف المنهاجي شمس الدين (ت٨٨٠هـ / ١٤٧٥م) إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ق٢، تحقيق: أحمد رمضان أحمد الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

- طاش كيري زادة، عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى (ت٩٦٢هـ / ١٥٥٤م)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م.

- المقدسي، أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال بن تميم بن سرور (ت٧٦٥هـ / ١٣٦٣م)، مثير الغرام بفضائل القدس والشام، مكتبة الظاهر أخوان، يافا.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ / ١٣١١م). معجم لسان العرب، م١٥ دار صادر، بيروت، -١٣٩هـ / -١٩٧م.

- النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت٩٢٧هـ / ١٥٢٠م) الدارس في تاريخ المدارس، ج١، تحقيق: جعفر الحسني، المجمع العلمي العربي، دمشق،

١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م.

المصادر الأجنبية :

• William Archbishap of Tyre. A history of Deeds Done Beyond the sea

• Translated. Emily At Water Babcock and A.G. Kery. Conyriyht 144. Columbia University. New York. 1396 / 1976. Volume One.

المصادر الأجنبية المترجمة :

• فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ط١، ترجمة: زياد العسلي، دار الشروق عمان ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

• مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٧٨هت / ١٩٥٨م.

المراجع العربية الحديثة :

• أمين، حسين أمين، نظام الحكم في العصر السلجوقي، مجلة سومر، ج١+٢، م٢٠، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

• الباشا، حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج١، دار النهضة العربية-القاهرة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.

• باشا، عمر موسى باشا، أدب الدول المتتابعة، عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك

ط١، دار الفكر الحديث، دمشق، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م.

• بدوي، أحمد أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر، ط٢، القاهرة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

• التازي، عبد الهادي التازي، حي المغاربة، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، م١، عدد٣، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م.

• توني، يوسف توني، معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

• جب، هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: إحسان عباس، محمد يوسف نجم، محمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت، ومؤسسة فرنكلين، بيروت، نيويورك، تحرير: ستانفودشو/ وليم بولك، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.

• الجميلي، رشيد الجميلي، دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي. (٥٢١-٦٣١هـ / ١١٢٧-١٢٣٣م)، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

• حمارنة، سامي خلف حمارنة، الطب العربي في فلسطين في زمن الفاطميين والأيوبيي، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، م٢، ط١، جغرافية فلسطين وحضارتها، الأردن ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

• الخالدي، أحمد سامح الخالدي، أهل العلم والحكم في ريف فلسطين، ط١ مؤسسة عبد الحميد شومان. عمان، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

مدارس بيت المقدس ومعاهدها، مجلة الأديب، أذار، ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م.

• خلف، علي، سعيد خلف، شيء من تاريخنا، ط١ وكالة أبو عرفة، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م.

• خمّار، قسطنطين خمّار، موسوعة فلسطين الجغرافية. منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، سلسلة كتب فلسطين، ١٦، بيروت، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

• الدبّاغ، مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٣. ق٢، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٣٩١هـ / ١٩٧١، ج٥، ق٢، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ج٨، ق٢، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤، ج٩، ق٢، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

• رشيد، ناظم رشيد، التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية في الشام، مجلة أداب الرافدين ع١٠، جامعة الموصل، كلية الآداب. ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

• زايد، عبد الحميد زايد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

• زيادة، نقولا زيادة، لمحات من تاريخ العرب، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.

• الشاعر، محمد إبراهيم الشاعر، جغرافية فلسطين العسكرية، معهد البحوث والدراسات العربية قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، القاهرة، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

• شلبي، أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف، بيروت، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م.

• شميساني، حسن شميساني. مدارس دمشق في العصر الأيوبي، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

• صبرة، عفاف سيد صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ط١، دار الكتاب الجامعي القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

• عبد المهدي، عبد الجليل عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس في العصرين

الأيوبي والمملوكي ودورها في الحركة الفكرية، ج١، مكتبة الأقصى، عمان، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

• عز الدين، فاروق محمد عز الدين، القدس تاريخياً وجغرافياً، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

• العسلي، كامل جميل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، الجامعة الأردنية، عمان ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

من آثارنا في بيت المقدس ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

• عمران، محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، حملة جان دي برين على مصر (٦١٥-٦١٨هـ / ١٢١٨-١٢٢١م)، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

• غوانمة، يوسف حسن درويش غوانمة، إمارة الكرك الأيوبية، بلدية الكرك، الأردن، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، دار الحياة، الأردن، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

• الفرحان، يحيى الفرحان، قصة مدينة القدس، المنظمة العربية للتربية والعلوم، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، -١٤٠ / -١٩٨م.

• قزاقيا، خليل إبراهيم قزاقيا، تاريخ الكنيسة الرسولية الأورشليمية، مصر، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م.

• كرد علي، محمد كرد علي، خطط الشام، ج٦، ط٢، مكتبة النوري، دمشق ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

• مرعشلي، أحمد مرعشلي، عبد الهادي هاشم، أنيس صايغ المستشار، مادة القدس،

الموسوعة الفلسطينية، م٣، ص-ك، ط١، دمشق، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

- مركز القدس، مركز القدس للدراسات الإنمائية، لندن، خارطة فلسطين – القرى الفلسطينية المهدومة والاستعمار الصهيوني والاستيطاني خلال مئة عام ١٣٠٠-١٤٠٢هـ / ١٨٨٢-١٩٨٢م.
- معلوف، عيسى إسكندر المعلوف، ابن شيث القرشي، مجلة العرفان، ج٥-٦، ج٦، ١٣٣٩هـ / ١٩٢١م.
- مؤنس، حسين مؤنس، نور الدين محمود "سيرة مجاهد صادق" ط٢، الدار السعودية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- نقولا، قسطندي نقولا أبو حمود، معجم أسماء المواقع الجغرافية في فلسطين، جمعية الدراسات العربية، القدس، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
- اليعقوب، محمد أحمد سليم اليعقوب، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، رسالة جامعية أشرف عليها د. محمد عدنان البخيت، عمان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- يوسف، حمد أحمد عبد الله يوسف، بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية ط١، دائرة الأوقاف، القدس، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

المراجع الأجنبية الحديثة

Finucaus, Roland, **Soldiers of the faith**, J. M. Dent and Sons, Ltd, London and Melbonme, 14. 31983/.

Gwalls, Archibald and Amal Abul-Hajj, **Arabic Inscriptions in Jerusalem**, Ward of Islam festival, London trust, 14001980/.

Ahiyari, Mistafa, **Crusader Jerusalem**, Jerusalem in history, Edited, Kamel Asali, England, 14. 91989/.

Lemberts, Michel Join, **Jerusalem**, trans, Charlotte Haldone, Elekbooks, London, 13781958/.

Rilay Smith, Jonathn, **The feudal no biuty and kingdom of Jerusalem**, 5701277-1174/676-, first published, London, 13931973/.

Sharon, Arich, **Jerusalem, planning Jerusalem**, the old city it's Invirons, Jophet Press, 13931973/.

Shaefer, Karl, **Jerusalem in the Ayyubid and Mamluk Eras**, New York University ph.D. 14061985/.

Smith, George Adam, **Historical Geography of Jerusalem**, Ariel Publishing house, 13251907/.

Stewart, AuBrey, M. A, **The library of the Palestine Pilgrims text Society**, part 6, London, 13121894/.

Al-Iibawi, A. **The Islamic poins foundations in Jerusalem**, the Islamic Cultural centure, London, 13981978/.

Van Berchem, Max, **Corpusln Scriptiou-Arabicarum – Jerusalem Haram Imprimeriede Lin statute efrancais** Archeologie Orientalele caire, 13441955/.

Van Cleve, Thomas, **The Emperor Fredrick II,** Oxford. 13921972/.

Warrer, Sir Charles Warren, K. C. M. G. R. E. and Claude. Reignier Conder, R. E., **The Survey of the western Palestine: Jerusalem**, the committee of the Palestine Expalovation found-London, 13.21884/.

المراجع الأجنبية

•رنسيمان، ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (١)، ط١، ترجمة السيد الباز العريني بيروت، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، ج٢، ط١، دار الثقافة، لبنان، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

• لي سترانج جي، فلسطين في العهد الإسلامي، ط١، ترجمة محمود عمايره، وزارة الأوقاف والإعلام، الأردن، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

•المدرسة البريطانية، المدرسة البريطانية لعلم الآثار، الأبنية الأثرية في القدس الإسلامية ترجمة: إسحق موسى الحسيني.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



2009

مَدينة القُدس في العَهد الأيوبي

٥٨٣هـ/١١٨٧م - ٦٥٠هـ/١٢٥٢م

مقبولة حسن الحاج خليل

يتناولُ هذا الكتابُ الجديد المدينةَ المقدّسة منذ بداية الفَتح الأيوبيّ لها سنة ٥٨٣ هـ/١١٨٧م، وحتّى تبعيّة المدينة للمماليك سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م. ويشتملُ على خمسة فصول تُركّزُ على الجوانب الجغرافيّة والتاريخيّة والإداريّة في المدينة طوالَ هذه المدّة؛ وعلى تخطيطها وعمرانها، والمنشآتَ العمرانيّة التي بناها السّلاطين أو الأمراء، وسكّانها؛ والحياة الاجتماعيّة فيها؛ والحياة الدّينيّة في ظلالها؛ وأوقافها؛ والحركة الثّقافيّة والفكريّة فيها؛ ودُور العلم والكتب فيها؛ ومؤسّساتها ومرافقها العامّة. وفي الكتاب خرائط توضيحيّة عدّة. وهو - في الأصل - رسالة ماجستير قدّمت للجامعة الأردنيّة.